ابن المأمون

(... ـ٥٨٨هـ/... ـ١١٩٢م)

ومنهجه في كتابه السيرة المأمونية

إعداد الباحثة

فاطمة الزهراء عبد العزيز فرج أبو العنين

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر - تفهنا الأشراف

ابن المأمون (... ـ٥٨٨هـ/... ـ١١٩٢م) ومنهجه في كتابه السيرة المأمونية

فاطمة الزهراء عبد العزيز فرج أبو العنين

قسم التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإنسانية – تفهنا الأشراف – جامعة الأزهر – مصر.

الملخص

ازدهرت حركة التدوين التاريخي في مصر بظهور العديد من المؤرخين الذين ينتمون إلى مدرسة التاريخ المصري، والذين برعوا في كتابة المؤلفات بما تحويه من أحداث تاريخية عبر العصور، فتبوءوا مكانة عالية بين المسهمين في الفكر التاريخي، وأثروا الحياة العلمية والمعرفية بجهودهم في ميدان التأليف.

وقد ساعدت مؤلفاتهم على استكشاف الحقائق التاريخية وإظهارها، بجانب معرفة الأساليب والمناهج المختلفة لهؤلاء المؤرخين، ومن هنا جاءت أهمية الدراسات المنهجية، فالدراسة المنهجية تبين مدى أهمية تلك المؤلفات بما تظهره لنا من فكر أصحابها، وانعكاسه على طريقتهم في التدوين، كما تُعد صورة صادقة تعكس أحوال العصر المؤرخ له والمدون عنه.

لذلك لا بد من البحث في هذا المجال من أجل إبراز دور هؤلاء المؤرخين الذي –وبلا شك – كان له بالغ الأثر في مختلف العلوم، وخاصة التاريخ الإسلامي بجميع حقبه.

الكلمات المفتاحية: السيرة المأمونية – ابن المأمون – التدوين التاريخي – الأسلوب – المنهجية – الوزارة – المأمون البطائحي – الدولة الفاطمية.

Ibn al-Ma`mun (... -588 A.H. / ... -1192 A.D.)

And his approach in his book Al-Sirah Al-Mamounia

Fatima Zahra Abdul Aziz Faraj Abu Al-Anin

Department of Islamic History at the Faculty of Humanities - Tafhanna Al-Honor, Al-Azhar University, Egypt.

Abstract:

The historical blogging movement flourished in Egypt with the emergence of many historians belonging to the Egyptian history school, who excelled in writing books with their historical events throughout the ages.

Their books have helped to explore and show the historical facts, in addition to knowing the different methods and approaches of these historians, hence the importance of systematic studies. The systematic study shows the importance of these works with what they show to us from the thinking of their owners, and its reflection on their way of writing. The era dated and recorded for him.

Therefore, it is necessary to search in this area in order to highlight the role of these historians, which - without a doubt - had a great impact on various sciences, especially Islamic history in all its periods.

key words: Biography al-Ma'muniya - Ibn al-Ma'mun - historical codification - method - methodology - ministry - al-Ma'mun al-Buta'i - the Fatimid state.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه).

لا شك أن التدوين التاريخي حفظ لنا أحداث التاريخ بوجه عام من أن تندثر، أو تضيع، إذ كل أمة ينبغي أن يكون لها ما تعتز به من تراثها المدون لحقائق عصرها، وقد تكفل بهذا العاملون في ميدان التأليف من المؤرخين.

ومن بين المؤرخين الذين أسهموا في مجال التدوين التاريخي مؤرخنا (ابن المأمون) الذي أدرك العصرين الفاطمي والأيوبي، فعاصر العديد من الأحداث التي حفلت بها تلك الفترة، وأصدر كتابًا اشتهر باسم السيرة المأمونية، يؤرخ لكثير من تلك الأحداث، وقد عُد كتابه هذا من مصادر التاريخ الإسلامي المهمة في معرفة أحداث العصر الفاطمي؛ نظرًا لما يحتويه من معلومات قيمة عن ذلك العصر، لا سيما أنه كان معاصرًا لكثير منها.

وقد وفقني الله إلى اختيار هذا الكتاب، وجاء اختياره لأسباب، منها: التعريف بأحد المؤرخين الذين تركوا لنا أثرًا نعتمد عليه في معرفة أحداث تلك الحقبة، وكذلك: لدراسته دراسة منهجية، تُظهر أسلوب ابن المأمون ومنهجه، وطريقته في معالجة الأحداث، بجانب ثقافته التاريخية والأدبية.

وقد قمت بتقسيم الموضوع إلى ثلاثة مباحث، يحتوي كل منهم على عدة عناصر، جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول بعنوان **(التعريف بابن المأمون وعصره)**: واشتمل على **الترجمة لابن المأمون**، ثم **الترجمة للمأمون البطائحي** أبيه، والذي ألف له هذه السيرة، وقد راعيت عند الترجمة للمأمون البطائحي استبعاد ما سيرد عنه داخل السيرة المأمونية، للبعد عن التكرار؛ ثم تناول البحث الحديث عن **ملامح عصر ابن المأمون**.

أما **المبحث الثاني** فجاء بعنوان، **(السيرة المأمونية المضمون والمحتوى)** بدأت فيه بذكر **عنوان السيرة**، و**سنواتها**، و**سبب تأليفها**، **وأيضًا** تناولت فيه الحديث عن **زمن التدوين**، **وقيمة السيرة وأهميتها**، **وعمل المحقق** في نشرها، **وأخطاء التحقيق**، ثم تطرقت إلى ذكر ما جاء في السيرة من الحديث عن **بدايات المأمون البطائحي**، ثم تناولت **الجوانب السياسية**، **والإدارية**، **والاقتصادية والمالية**، **والاجتماعية** بما تضم من أعمال تخدم المجتمع، إلى جانب الحديث عن **الاحتفالات**، **والعمارة**، كما تناول الحديث عن **الجوانب العلمية**، و**التراجم** الواردة في السيرة، وأخيرًا ما ورد بها من **عجائب**، و**طرائف**.

وجاء المبحث الثالث بعنوان **(الأسلوب والمنهجية عند ابن المأمون)** تناولت فيه أسلوب ومنهج ابن المأمون من حيث: طريقة التدوين، وهي: **الطريقة الحولية**، ثم **موارده** التي اعتمد عليها عند تدوينه الأحداث، وكذلك **استشهاداته** بالنصوص والنقول، واستخدامه **للتوقيت الزمني**، **والتحديد المكاني**، **وضبط معاني المصطلحات**، وذكر البحث **انفرادات** ابن المأمون، وماعدده لأبيه من **مناقب**، وأيضًا **تدوينه للأحداث وتفسيره لها**، **ودقة الوصف وكثرة التفاصيل** لديه، وما أورده في السيرة من **الإحصاءات والعمليات الحسابية**، وكذلك تناول البحث الحديث عن

النزعة الدينية لديه، واستخدامه للجمل البلاغية، وكذلك **استخدامه للسجع**، وما أتى به من **تعليلات**، و**تعليقات**، و**تنويهات**، و**تشبيهات**، و**مقارنات**، و**إحالات**، و**استدعاءات**، وما ذكره من **قياس ومناظرة ومماثلة**، وما كان من ذكره لبعض الأحداث من قبيل **ذكر المفصل بعد المجمل، والخاص بعد العام**، وكذلك **ذكر الأدنى بعد الأعلى**، ثم وضح البحث بعض **المآخذ على أسلوب ومنهجية ابن المأمون**، ومنها: **استخدام بعض الألفاظ الجافة، وعدم التزام الترتيب الزمني لبعض الأحداث**، وكذلك **عدم وضوح نهايات بعض الأحداث**، وأيضًا ما لوحظ على أسلوبه من كثرة **التكرار، والإسهاب والإطالة** في تدوينه لبعض أحداث السيرة.

ثم أوضحت: **هل تحققت المقاصد من السيرة؟**

وأخيرًا ختمت البحث **بخاتمة** بها أهم ما تم التوصل إليه من نتائج، وأعقب ذلك **ثبت المصادر والمراجع** التي تم الاعتماد عليها في البحث.

والله من وراء القصد،، وهو يهدي السبيل..

ابن المأمون (... ـ٥٨٨هـ/... ـ١١٩٢م)

ومنهجه في كتابه السيرة المأمونية

تتنوع مادة التواريخ ما بين محلية وعالمية، وكذلك تتنوع التواريخ المحلية ما بين تأريخ للمدن والأقاليم، أو للأسر، أو سير لبعض الأشخاص أو كبار الرجال بمصر(١)، وتُعد السيرة فنًا، ونوعًا من الأدب، يجمع بينه وبين التحري التاريخي، ويُراد به مسيرة حياة إنسان، ورسم صورة دقيقة لشخصيته(٢).

ويرتبط مفهوم السير بالدلالة على عمل أو تسجيل لمظاهر النشاط في حياة الآخرين(٣)؛ ولذا فمعظم السير كانت أماديح ترمي إلى تمجيد صاحب السيرة وتخليده؛ ولهذا كُتب معظمها في عهود أصحابها، وكُتِبت من قبل أقربائهم(٤)، وفق منهج سردي تاريخي يعتمد على التجربة والمعايشة والسماع والمشاهدة؛ ولذا فهي تذخر بالمعلومات التاريخية عن

---

(١) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص٣٥٩، ج٢، ص١٧٣.

(٢) عبد المجيد البغدادي: فن السيرة وأنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، العدد ٢٣، ٢٠١٦م، ص١٩١.

(٣) فاروق عمر فوزي: التدوين التاريخي عند المسلمين، مقدمة في دراسة نشأة علم التاريخ وتطوره حتى بداية القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٣٠٠.

(٤) شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون، ج١، ص٣٦٧، ٣٦٨.

الأحداث التي عاصرها ذلك الشخص وأثرت فيه أو تأثر بها[١]، ولذلك ألف في هذا النمط بعض الأمراء والملوك[٢].

وقد مثّل هذا النمط ابن المأمون في سيرته والتي جمع فيها بين عدة أمور، الأول: أنه ألف سيرته عن أحد الوزراء (سير) في مصر (تاريخ محلي)، والثاني: أنه كان ممن شاهد وشارك في الأحداث (معاصر)، وثالثهما: أنه كان من أقرب المقربين للوزير الذي تناول سيرته (أبيه)، كذلك منها: أن ابن المأمون أُتيح له الاطلاع على الوثائق، إذ كان ينتمي إلى (الأمراء)، وعلى هذا، ينتمي كتاب ابن المأمون إلى نمط التواريخ المحلية التى اقتصرت على أحداث مصر اللهم إلا قليلاً مما ورد بها يختص بالشام.

وكثرة الاعتماد على الوثائق ازدادت بعد أن عمل في مجال تدوين المؤلفات الكتَّاب والموظفون الرسميون وغيرهم ممن لهم صلة برجال البلاط وبأصحاب الوظائف المهمة، ولذا يسقط السند في مثل تلك المؤلفات، وتكثر فيها الوثائق، مما يعني أن التاريخ إن افتقد السند وغاب عنه، فإنه لا يهمل التوثيق[٣]، بل يعتمد على الوثائق والمدونات البعيدة عن

(١) فاروق عمر فوزي: التدوين التاريخي، ص٣٠١.

(٢) شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون، ج١، ص٢٧٨.

(٣) شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون، ج١، ص٢٧٦، ٣٨٠.

الكذب والافتراء[١]، فيلزم تحري الدقة في النقل، ويتم تفادي الشك الذي يصاحب نقل الأخبار شفاهة[٢].

وهذا النوع من السير يُعرف باسم (السيرة الغيرية)، ويُقصد بها: البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ، والكشف عن مواهبه، وأسرار عبقريته، وظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلفه في جيله[٣]، والمنجزات التي حققها، وأدت إلى ذيوع شهرته، وأهلته لأن يكون موضوع دراسة[٤].

وهي من نمط "السّير الصغيرة" التي تؤرخ لفترة زمنية قصيرة وهذا يفسر مدى ما بها من دقة متناهية، إذ إن الفترات التاريخية الطويلة تمتنع عادة على الدقة الشديدة في الملاحظات كذلك تصنف هذه السيرة تحت نمط السّير الفردية والتي تتناول التأريخ لشخص بعينه، ويندرج تحت هذه السيرة الفردية النمط الذي حوته وهو ما يُسمى بـ "المناقب"[٥].

وتأتي أهمية قرب مؤلفو السّير من الحكام وكبار رجال البلاط في أن هذا ما سهل لهم الاطلاع أكثر من غيرهم على دقائق الأحداث، كما

---

(١) عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٢، ص٥.

(٢) جان سوفاجيه/ كلودكاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، دليل ببليوغرافي، ترجمة: عبد الستار الحلوجي، عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨م، ص٥٧.

(٣) عبد العزيز شرف: أدب السيرة، ص٣، ٤.

(٤) عبد المجيد البغدادي: فن السيرة الذاتية، ص١٩١.

(٥) شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون، ج١، ص٢٧١.

كانت تحت أيديهم محفوظات الدولة ووثائقها، وكان بعضهم من صـــانعي تلك الأحداث، وكتاب تلك الوثائق(١)، أو على اتصال بكبار المسئولين في الدولة والأمراء الذين يحبون أن يسمعوا تمجيد مآثرهم ومآثر أســـلافهم(٢) فلعل ذلك أغرى كثيرًا منهم بكتابة التاريخ خاصة في تلك الفترات التـــي عاشها المؤلف أو أتيح له الاطلاع على وثائقها(٣)، إذ لا يستوي أن يكون المؤلف شاهد عيان للأحداث أو مجرد مُسَجِل لما سمع(٤)، فربما كان ابـــن المأمون مما أغراه ذلك، فحدى به إلى تأليف تلك السيرة.

ولذا لم يعد يقتصر ميدان التاريخ على الفقهاء والمحدثين أو رجال الإدارة والسياسة، ولكن دخله أيضًا بعض الأمراء والملوك في هذه الفترة، ومنهم ابن المأمون البطائحي(٥).

وكاتب السيرة الغيرية ينبغي أن تتوافر فيه عدة شروط، منها: أن يكون موضوعيًا، يلمح بسرعة، ويفهم بإحكام، ويُلم الحقائق، ويحكم عليها، ويمزجها مزجًا متعادلاً منسجمًا، ويصيغها بأسلوبه، ويقف موقف الشاهد لا القاضي، وجدير بالذكر أن نجاح من يكتب سيرة غيره يُقاس بمقدار تجرده وغيريته(٦).

---

(١) شاكرمصطفى: التاريخ والمؤرخون، ج١، ص٢٧٦.
(٢) جان سوفاجيه/ كلود كاين: مصادر دراسة التاريخ، ص٥٨.
(٣) شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون، ج١، ص٢٧٦.
(٤) جان سوفاجيه/ كلود كاين: مصادر دراسة التاريخ، ص٦٠.
(٥) شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون، ج١، ص٢٧٨، ٢٧٩.
(٦) عبد العزيز شرف: أدب السيرة، ص٦.

ولقد تم تسجيل تاريخ البشرية وحفظه بيد البشر أنفسهم الذين حملوا على عاتقهم كتابة التاريخ، فمنهم من أجاد وكان لديه القدرة على الكتابة التاريخية الصحيحة، وتسجيل الأحداث بطريقة منهجية.

المبحث الأول

(التعريف بابن المأمون وعصره)

(ترجمة ابن المأمون):

هو موسى بن أبي عبد الله محمد بن فاتك المعروف بالمأمون البطائحي، ويُلقب بـ"جمال الملك"، و"شرف الخلافة"(١).

وابن المأمون على ما يبدو هو الابن الأصغر للوزير الفاطمي المأمون البطائحي(٢)، قيل: إنه كان أديبًا(٣)، وهو الذي صنف كتابًا في سيرة أبيه الوزير المأمون البطائحي(٤)، وتكاد المعلومات عن ابن المأمون

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن على: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، م٢، ص٣٦٤.

(٢) ستأتي ترجمته لاحقًا.

(٣) ابن سعيد، علي بن موسى: المغرب في حلى المغرب. النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة. القسم الخاص بالقاهرة. تحقيق: حسين نصار، القاهرة، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب، ص١٩٧٠م، ص٣٦٣.

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م ، ج١، ص١١١، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تحقيق: محمد حلمى محمد أحمد، ط١، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م، ج٣، حاشية المحقق، ص٧٢.

تكون معدومة، برغم اشتهار كتابه وتداوله بين المؤرخين الذين تناولوا تاريخ الفاطميين في مصر(١).

وينتمي ابن المأمون إلى أسرة قام أفرادها بدور مهم في الحياة السياسية في مصر مع مطلع القرن السادس الهجري وحتى نهاية العقد الثاني من هذا القرن، فجده الأمير أبو شجاع فاتك(٢)، من رجال الأفضل الجمالي(٣)،وأبوه الوزير المأمون في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله(٤)،

(١) ابن المأمون، جمال الملك موسى بن المأمون: السيرة المأمونية، أو أخبار مصر (٥٠١ ــ ٥١٩هـ)، أعاد بنائها: أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ٢٠١٤م، مقدمة المحقق، ص١٣.

(٢) ستأتي ترجمته لاحقًا.

(٣) الأفضل بن أمير الجيوش: ولد في ٤٥٨هـ/١٠٦٥م، ولي الوزارة بعد موت أبيه بدر الجمالي، وكان شهمًا، مهيبًا، أمات شعار الباطنية، وأذن للناس في إظهار عقائدهم، فكرهه الباطنية لذلك، وقتلوه في ٥١٥هـ/١١٢١م."الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: العبر في خبر من غبر. تحقيق. صلاح الدين المنجد، ط٢، الكويت، ١٩٨٤م، ج٤، ص٣٤، ٣٥".

(٤) الآمر بأحكام الله: أبو علي المنصور بن المستعلي، ولد في ٤٩٠هـ/١٠٩٦م، وبويع له في ٤٩٥هـ/١١٠١م، استوزر الآمر الأفضل بن بدر الجمالي، ثم المأمون البطائحي الذى أمر بقتله في ٥٢٢هـ/١١٢٨م، وبقي بعده بغير وزير، فأصبح هو يدبر أمر مملكته حتى قتل في عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م. "ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ج٤، ص٣٨٤، الروحي، أبو الحسن علي بن أبي عبد الله محمد: بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء. تحقيق: عماد أحمد هلال– محمد حسني عبد الرحمن – سعاد محمود عبد الستار، القاهرة، وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى ==

وأعمامه أبو جعفر(١)، وحيدرة(٢)، وكلاهما تولى وظائف مهمة في الدولة، وأخواه تاج الرئاسة، وتاج الخلافة سعد الملك محمود(٣).

وابن المأمون وإن لم تذخر المصادر بالترجمة له لقلة المعلومات عنه، إلا إنه من خلال دراسة أسلوبه ومنهجه يمكن الاستدلال بهما لاستكمال ترجمته.

فعبر سيرته، تَطّلع على صفات ابن المأمون وتلمسها من خلال أسلوبه ومنهجه فيها، تراه يتصف **بالموضوعية والحياد، لسانه مبين،** ظهر ذلك في تدوينه للسيرة حيث قدرته على التعبير وضبط الألفاظ،

==

للشئون الإسلامية، مركز السيرة والسنة، إدارة تحقيق المخطوطات وكتب التراث،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٣٠: ٣٣٢".

(١) أبو الفضل جعفر: ابن الأمير نور الدولة أبي شجاع، ويُلقب بركن الخلافة، رتبه أخوه المأمون لما ولي الوزارة للخليفة الآمر بحمل السيف الخاص، كما ولاه حماية خزائن الكسوات، وصناديق النفقات، قبض عليه الآمر لما قبض على المأمون، ثم أُفرج عنه، وتوفي في ٥٤٩هـ/١١٥٤م."المقريزي: المقفى الكبير. تحقيق: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٣، ص٣٩، ٤٠".

(٢) أبو تراب حيدرة: حيدرة بن فاتك بن مختار، المؤتمن، سلطان الملوك، نشأ بالقاهرة، ولما استقر أخوه المأمون في الوزارة، أسند إلى المؤتمن تقدمة العسكر، ولاه الخليفة الآمر الإسكندرية في ٥١٧هـ/١١٢٣م، ثم غضب الآمر على الأخوين وأمر بقتلهما فقتلا في ٥٢٢هـ/١١٢٨م، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٧١٥، ٧١٨".

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، م٢، ص٣٦٤، ابن المأمون: السيرة المأمونية، مقدمة المحقق، ص١٤.

وإيقاعها في مواقعها، **معتز بأبيه**، يسعى كثيرًا لإبراز فضائله ومناقبه في سياق سرده التاريخي للأحداث، وبدون تصريح، بل يفطن القارىء إلى ذلك من تلقاء نفسه، من خلال الكثير من العبارات التي وردت في السيرة الدالة على ذلك، ومنها: تعبيره عن رفعة شأن أبيه بما حدث في جنازة الأفضل بأن الخليفة الآمر أمر أخويه بالسلام على المأمون والسير معه فقال: ".. واستعظم الناس هذه الحالة والمكارمة.."(١)، وقوله فيما اختص به والده وشُرف به دون غيره: ".. ولم يُسبق إلى ذلك.."، وأيضًا: ".. ولم يتقدمه أحد من الوزراء إلى ذلك.."(٢)، وتجد من خلال السيرة **التزام ابن المأمون وتدينه** في استخدامه الآيات القرآنية، واستنكاره لمن يُلحق بالناس العسف والظلم، وحينما يرصد تدين أبيه، يدل عليه حديثه عن أبيه وأنه يحافظ على إقامة الفرائض حين دخول الوقت بقوله: " .. ويقضي بعد ذلك الفرائض الواجبة في وقتها"(٣).

- ابن المأمون كان **سليم الصدر والنفس**، لا يقدح في أحد، بل تراه يثني خيرًا على من يذكره، كحديثه عن موظفي دار الضرب فوصفهم بالعدول(٤)، كما تجد ابن المأمون **لا ينتخب لأحد خبايا، ولا يستدعي ما هو مطوي في الصدور**، بل دائمًا تجده **متمتعًا بالأخلاق والأدب**، يتضح ذلك في حديثه عن الخليفة الآمر ملتزمًا

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٢٨.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٨٠، ١٤٣.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٣٨.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٥.

الأدب والاحترام والإجلال لشخصه، معظمًا له عند ذكره، بدون تجاوز في حقه، ولا نقمة عليه لكونه أمر بقتل أبيه، بل تراه يعبر عما تبقى من خلافة الآمر بعد مقتل المأمون البطائحي أبيه بمصطلح: "الأيام الآمرية"(١)؛ وهو بهذا يصيب القارىء بالحيرة في أمره، وربما تفسير ذلك ومرده يرجع إلى مكانة الإمام في المذهب الشيعي عند أصحاب المذهب من حيث الإجلال والتعظيم والسمع والطاعة، فلعل هذا ما جعل ابن المأمون يظل في حديثه عن الخليفة الآمر حتى بعد وفاته يُجلّه ويعظمه ويتحدث عنه بأدب جم.

- وهو **كتوم، يكتم البوح بمشاعره**، ينأى عن التعبير عنها فى سيرته، ولا تجد لفظًا أو عبارة تعبر عن مكنون حزنه على أبيه وكذلك عمه، ولئن قيل: إن ذلك ربما راجع إلى تبنيه مبدأ التقية والمدارة في مذهبه الشيعي، فالجواب بالقطع أنه ليس لهذا المبدأ دخل فى سلوكه هذا، لأنه فيما يبدو دوَّن سيرته بعد عهد الآمر ووفاته، فكان متاحًا له أن يتناوله بما شاء دونما خوف، إذ ما فائدة التقية والمدارة لخليفة مفارق الدنيا، ولذا فالمرجح أن ابن المأمون ينأى عن البوح بما يختلجه من أحاسيس لا تصريحًا ولا تلميحًا.
- يكتسي ابن المأمون برداء **الحياء** أيضًا، دليل ذلك حديثه عن الثياب التي أحضرت من الإسكندرية، فذكرها بدقة، فلما أتى على

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٠.

ملابس النساء لم يُورد وصفها، بل ذكر أن من ضمن الثياب المرسلة ثيابًا أخرى: ".. مما يختص بالنساء"(١).

- كما يظهر **صدقه وأمانته** وذلك من خلال توضيحه في السيرة على ما لم يطلع عليه من أحداث، فيعبر عن ذلك بقوله: ".. ولم يقع لى شاهد بها.."(٢)، وأيضًا **عدم ادعاء العلم** فيما لا يعلمه، وما هذا كله إلا لصدقه وأمانته التي انعكست على تدوينه.
- هذا بالإضافة إلى **قوة الملاحظة**، وكذلك **قوة الذاكرة** التي حوت تفصيلات الأحداث ودقائقها، فتمكن ابن المأمون من استدعائها وإثباتها في سيرته.

وكانت وفاة ابن المأمون في سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة في ٥٨٨هـ/١١٩٢م(٣) وعن كتابه السيرة المأمونية، فقد ذمَّ ابن سعيد المغربي(٤) الكتاب قائلاً: "فلم أر أجمع للهذيان منه، وهو في أربع مجلدات لا يقدر المنتقي يختار منه شيئًا إلا ما ندر"(٥).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٢.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢٣.

(٣) المقريزي: السلوك، ج١، ص١١١.

(٤) ابن سعيد المغربي: علي بن موسى، جاء من المغرب إلى مصر، ثم ارتحل إلى العراق والشام، وجمع وصنف، ومن مصنفاته بالإضافة إلى كتاب المغرب: كتاب المشرق في أخبار أهل المشرق، والغراميات، وحلى الرسائل، توفي في ٦٧٣هـ/١٢٧٥م."الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط/ تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠، ج٢٢، ص١٥٧، ١٥٨".

(٥) المغرب في حلى المغرب، ص٣٦٣.

غير أن كلام ابن سعيد المغربي مردود عليه، فقد حوى الكتاب معلومات وتفصيلات دقيقة عن أحوال الفاطميين في عصر الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي، خاصة في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وعُد هذا الكتاب مصدرًا مهمًا؛ لأن صاحبه ومؤلفه شاهد عيان يؤرخ لفترة عاصرها، بجانب استشهاده بعدد من الوثائق التي في حوزته بحكم أنها كانت في حوزة أبيه، وفى داره التي يسكنها، فضلاً عن أن كتابه كان العُمدة الذي اعتمد عليه العديد من المؤرخين الذين سجلوا وأرخوا لتلك الفترة،ومنهم:ابنظافرالأزدي(١) المؤرخ(٢)،وابنعبدالظاهر(٣)والنويري(٤)،

(١) ابن ظافر الأزدي: علي بن ظافر المصري، المالكي، وُلد في ٥٦٧هـ/١١٧١م، وتفقه على والده، برع في الأدب، والتاريخ، وأخبار الملوك، وله العديد من المصنفات، وكان متوقد الخاطر، طلق العبارة، محبًا لأهل الدين والصلاح، توفي في ٦١٣هـ/١٢١٦م."الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢١، ص١٠٦".

(٢) الأزدي، علي بن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، القسم الخاص بالفاطميين، ط١، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، مصر، ١٩٧٢م، ص٩٢.

(٣) ابن عبد الظاهر: محيي الدين بن عبد الله بن رشيد الدين، كاتب الإنشاء بالديار المصرية، كان ذا مروءة، وله مصنفات كثيرة منها: سيرة الملك الظاهر، توفي في ٦٩٢هـ/١٢٩٢م وقد جاوز السبعين. "ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د. ت، ج١٣، ص٣٣٤".

(٤) النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم شهاب الدين، ولد بقوص، تقلب في الخدم، وباشر نظر الجيش بطرابلس، ونظر الديوان بالدقهلية، كان ذكي الفطرة، حسن الشكل، فيه مكرمة وود، جمع تاريخاً كبيرًا في عدة مذكرات، توفي في ٧٣٣هـ/١٣٢٣م. "الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص١١٠، ١١١".

والمقريزي[١]، وذكروا النقل عنه في مؤلفاتهم[٢]، كما أشار إليه المقريزي حينما تحدث عن أبناء الوزير المأمون البطائحي، فذكره، وأعقب ذكره بقوله: "صاحب التاريخ"[٣].

ولعل سبب إحباط ابن سعيد المغربي، وحكمه السلبي على الكتاب يعود إلى أن الموضوع الغالب عليه لم يتح له فرصة للانتقاء منه[٤].

- هذه السيرة وإن اقتبس منها كل من النويري وابن عبد الظاهر والأزدي والمقريزي، إلا أن تفصيلاتها وكثيرًا منها انفرد به المقريزي – على الرغم من تأخره في العصر عمن سبق ذكره من المؤرخين بانتمائه للعصر المملوكي – ولذا يعد هو جامعها–، ولعل مرد ذلك إلى أنه استطاع أن يصل إلى أجزاء كبيرة منها لم يصل إليها من سبقه من المؤرخين، أو لعل كثرة اعتماده عليها واقتباسه منها أكثر من غيره راجع إلى شدة حبه للفاطميين، بدليل أنه على الرغم من انتمائه للعصر المملوكي إلا أن له مؤلفًا خاصًا

(١) المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، الحنفي، المصري المولد والدار والوفاة، عمدة المؤرخين وعين المحدثين، وُلد بعد ٧٦٠هـ/١٣٥٨م، ولي حسبة القاهرة أكثر من مرة، وعرض عليه قضاء دمشق فأبى، ظل ملازمًا للخلوة والعبادة حتى توفي في ٨٤٥هـ/١٤٤١م. "ابن العماد، عبد الحي أحمد بن محمد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط/ محمود الأرناؤوط، ط١، دار بن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ، ج٧، ص٢٥٤، ٢٥٥".

(٢) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٧٢، المواعظ والاعتبار، م٢، مقدمة المحقق، ص٢٢١، ابن المأمون: السيرة المأمونية، مقدمة المحقق، ص٧.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، م٢، ص٣٦٤.

(٤) ابن المأمون: السيرة المأمونية، مقدمة المحقق، ص٢٤.

بالفاطميين وهو المسمى "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا".

- هذه السيرة التى تقع في أربعة مجلدات لم يصل لنا منها إلا ما أثبته المقريزي، الذي لم يأخذ منها إلا قليلاً من الأحداث السياسية وكثيرًا من الجوانب الحضارية مما يدل على عظمة الفاطميين وثرائهم ونظمهم، وقد اشتملت على أحداث أخرى في العصر الفاطمي لكن المقريزي لم يأخذها منها، وقد صرح محقق السيرة بذلك، فكان يأتي في السيرة بالحدث لابن المأمون، ثم يذكر قول المقريزي عن ذلك الحدث بأن فيه تفصيلات "... ما قد اختصرنا ذكره"، كما ورد في ٥١٧هـ/١١٢٣م(١).
- أيضًا المجلدات الأربع وإن لم تصل إلينا كاملة ولا نعرف جميع ما حوته، إلا أن المؤكد أنها كانت تقتصر على تدوين الفترة الزمنية الخاصة بعصر المأمون، مع التركيز فيها على ما كان منها من أحداث تواكب فترة وزارته، ودليل ذلك قول المقريزي في ترجمته لتاريخ وفاة ابن المأمون أنه: "جامع السيرة المأمونية"(٢)، فدل ذلك على أن المجلدات الأربع اقتصر فيها ابن المأمون على مادة التأريخ لعصر أبيه حتى مقتله، ولعل مقتله هو نهاية المجلد الرابع منها؛ فتكون السيرة خاصة بأبيه فقط.
- إذا ما صح هذا فيتبادر إلى الذهن سؤال مفاده، ما السبب الذي من أجله لم يدون ابن المأمون في السيرة ما تبقى من عهد الفاطميين

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١١٩، وانظر حاشية المحقق للصفحة نفسها.

(٢) السلوك، ج١، ص١١١.

بعد وفاة أبيه، وكذلك ما عاصره ابن المأمون من عصر الأيوبيين؟ فهل يعود هذا إلى أنه فقد مكانته التي كانت له عقب مقتل أبيه، وانتهاء عهد الآمر، ولم يعد يطلع على وثائق، وانعزل عن المشاركة في الأحداث فلم يكن من الشهود على الأحداث بنفسه؟ ربما يكون هذا هو السبب، ومما يُعضد هذا أن ابن المأمون على مدار سيرته يذكر لنا موارده التي استقى منها الأحداث والتى كان أغلبها يأتي من مشاهداته لها؛ ولذا دون ما يثق به مستدلاً على صدق وصحة حديثه بموارده، فلما فقد تلك الموارد بفقد مكانته التى تؤهله للاطلاع على الأحداث والسجلات لم يعد يُسجل الأحداث أو يُدونها.

وعلى أية حال، فالسيرة المأمونية خاصة بالتأريخ للمأمون البطائحي؛ ولذا استلزم الأمر التعريف به، فمن هو؟

(ترجمة المأمون البطائحي):

هو أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبي شجاع فاتك بن الأمير مُنجِد الدولة أبي الحسن[(١)]، وقد اختُلف في العام الذى وُلد فيه ما بين ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، أو ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[(٢)].

(١) المقريزي: المواعظ، م٢، ص٥١٣.

(٢) ابن ميسر: محمد بن علي بن يوسف: المنتقى من أخبار مصر. انتقاه تقي الدين المقريزي، أعده للنشر: أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، ص١٢٩.

وقد عُد من محاسنه أنه كان من ذوي الآراء، والمعرفة التامة بتدبير الدول، كريمًا، واسع الصدر(١)، شهمًا، مقدامًا(٢)، حلو الكلام، خفيفًا، رشيقًا، حسن الحركة(٣)، ظريفًا(٤)، لكنه أيضًا نُعت بعدد من الصفات عُدت من مساوئه، ومنها: أنه كان سفاكًا للدماء، كثير التحرز والتطلع إلى أحوال الناس من العامة والجند، فكثر الوشاة في أيامه، ظلومًا(٥)، فما سبق من صفات ذكرها كثير من المؤرخين تجمع بين الغث والسمين، لكن هناك البعض رآه كله شرًا، فوصفوه بأنه كان عسوفًا، متعاظمًا في نفسه، سيء السيرة، منفردًا برأيه(٦)، متكبرًا، متجبرًا، خارجًا عن طوره(٧).

---

(١) ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم: الكامل في التاريخ، ط١، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٢، ص٢٣١٤، ابن ميسر: المنتقى، ص١٢٩، المقريزي: المواعظ، م٢، ص٥١٥.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، م١١، ص٣٠٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٢٣١٤، النويري: أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج٢٨، ص٢٩١.

(٤) الذهبي: العبر، ج٤، ص٤٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٢٣١٤، ابن ميسر: المنتقى، ص١٢٩، المقريزي: المواعظ، م٢، ص٥١٥.

(٦) الدواداري، ابن أيبك أبو بكر بن عبد الله: كنز الدرر وجامع الغرر – الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية. تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، المعهد الآلماني للآثار، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ج٦، ص٤٩٢.

(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٨٤.

كان أبوه من جواسيس الأفضل بالعراق، ومات ولم يخلف شيئًا، ثم ماتت أمه، فتعلم البناء أولاً[١]، ثم صار يحمل الأمتعة بالأسواق ويدخل بها على الأفضل، فخف عليه[٢]، واستخدمه مع الفراشين[٣]، وشوهد وهو يرش الماء بين القصرين[٤]، وأصبح من جملة خواص المستنصر[٥]، يرسله إلى بيت المال وخزانة الخاص في مهماته، فوجد فيه المستنصر النهضة والأمانة فقال عنه: "هذا المأمون دون الجماعة"، وكان عمره آنذاك اثنتي عشرة سنة[٦]، فعرف من وقتها بلقب المأمون، وتقدم عند

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص١٢٩، الذهبي: العبر، ج٤، ص٤٤.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج٢، ص٢٣١٤، الذهبي: تاريخ الإسلام، م١١، ص٣٠٤.

(٣) ابن الطوير، عبد السلام بن الحسن الفهري: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، أعاد بنائها: أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ٢٠١٥م، ص٧.

(٤) الأصفهاني، أبو حامد بن محمد بن محمد: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت. لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٣٢٧، ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم: التاريخ الصالحي، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم السلام والخلفاء والملوك وغيرهم، يؤرخ كم بدء الخلق حتى سنة ٦٣٦هـ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٢، ص١٦٨، الدواداري: كنز الدرر، ج٦، ص٤٩٣.

(٥) المستنصر بالله: معد بن الظاهر العبيدي، صاحب مصر، ولي عليها ستين سنة، وأربعة أشهر، وخُطب له ببغداد، توفي في ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، عن ثمان وستين سنة."ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٨٢".

(٦) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٦٤.

الأفضل[١]، فاستحجبه[٢]، وأصبح وزيره المستولي على أموره وأستاذ دولته[٣]، وكان يُعرف بابن فاتك، وابن القائد، ودعاه الآمر جلال الإسلام[٤].

حقًا تربى المأمون يتيمًا[٥]، لكن ما ذكر بشأن أبيه من أنه كان جاسوسًا، وأنه مات وترك ابنه فقيرًا، فاشتغل بالخدمة في القصر ورش الماء فهو أمر فيه نظر؛ لأن أباه كان يُعد من أماثل الدولة، له مكانته عند الأفضل، ومات في زمانه، ولما مات رُثي بالعديد من القصائد، مما يدل على مكانته، وكذا مكانة ابنه الذي كان مقربًا من المستنصر الفاطمي، مأمونًا لديه[٦].

---

(١) ابن الصيرفي، علي بن منجب بن سليمان: القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٠٢.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي، بيروت. لبنان، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٤، ص٧٠.

(٣) ابن الصيرفي: الإشارة، ص١٠٤، ابن ميسر: المنتقى، ص١٠٩، ١١٠.

(٤) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١٠، ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٧٠.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، م١١، ص٣٠٤، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٤٤، علي فيصل عبد النبي: الوزير المأمون البطائحي، سيرته ودوره في الخلافة الفاطمية (٥١٥ – ٥١٩هـ/ ١١٢١ – ١١٢٥م)، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد ٦، ٢٠١٧م، ص٦٠٥.

(٦) ابن ميسر: المنتقى، ص١٣٠، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٩٢.

وتحدثت المصادر العربية عن أن يد القائد فاتك ملوثة بدماء الأفضل بن بدر الجمالي الذي قتل في ٥١٥هـ/١١٢١م، وذلك بالتدبير عليه(١)، وتنفيذاً لأمر الخليفة الفاطمي الآمر حينما أراد التخلص منه، دافعه في ذلك فساد ما بينه وبين الأفضل؛ لتضييق الأفضل عليه، فعزم الآمر على اغتياله إذا دخل عليه قصره(٢)؛ فنهاه عن ذلك ابن عمه، محذرًا إياه من أن الإقدام على ذلك سيجلب عليهم الشناعة وسوء السمعة(٣)، لأن الأفضل وأباه في خدمة الفاطميين، ولا يعرف الناس من أمرهم إلا ظاهره وهو الموالاة الخالصة، وأوعز إليه بأن الصواب في التدبير: "أن تستميل أبا عبد الله محمد بن البطائحي، المطلع على سره وجهره، وتراسله وتعده وتمنيه، وتطمعه في منصبه(٤)، فإنه يجيب إلى ذلك لأمرين: أحدهما: ديناً؛ لأن مذهبه مذهبنا، والثاني: للدنيا وحبها، وكونه يصير في منصبه فيها،

(١) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص٧، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص٦٤، ٦٥، الذهبي: تاريخ الإسلام، م١١، ص٢٣٧، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٥٨م، ص١٧٣.

(٢) ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي التميمي: تاريخ دمشق ٣٦٠ – ٥٥٥هـ. تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار حسان– دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣٢٤، ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٢٢٩٩.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٧٩.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص٣٢٤، ٣٢٥، علي صدام نصر الله: إنهاء الخليفة الآمر بأحكام الله تسلط الوزراء في عهده (٤٩٥ – ٥٢٤هـ / ١١٠١ – ١١٢٩)، وانفراده بحكم الدولة الفاطمية، مجلة الدراسات التاريخية، كلية التربية بنات، جامعة البصرة، العدد ٢١، ٢٠١٦م، ص٦٨.

فإذا ظفرنا بمن قتله قتلناه، وأظهرنا الحزن عليه"[١]، وقد تم الأمر، وقتل الأفضل، وادُعي أن الباطنية[٢] تولوا قتله وهو مجتاز في بعض أسواق القاهرة[٣].

كما اتُهم المأمون بقتله أولاد الأفضل، وأولاد أخويه[٤]، وقيل في أسباب ذلك: ليجعل المأمون له بذلك يدًا عند الخليفة الآمر، كما قيل: إنه كان يخاف أن يموت الأفضل فيلقى من الآمر ما يكرهه؛ لأنه كان أكبر الناس منزلة عند الأفضل، ومتحكمًا في جميع أموره[٥]. وهذا الذي ذكر آخرًا ربما يكون هو دليل براءة المأمون من قتله الأفضل أو على الأقل

(١) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص٣٢٥.

(٢) الباطنية: هم أصناف وفرق، وأسماؤهم مختلفة لدعوة كل ناجم منهم إلى نفسه، وعامتهم يظهرون الإمامة، ويدّعون للقرآن تأويلاً باطنًا، ومنهم القرامطة، وأيضًا يقال لهم الإسماعيلية، أما تسمية الباطنية فلأنهم يُظهرون الرفض ويبطنون الكفر. "المقدسي، المطهر بن طاهر: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د . ت، ج٥، ص١٣٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٦٢".

(٣) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص٣٢٣، ابن القطان، حسن بن علي الكتاني المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان. تحقيق: محمود علي مكي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ص٧٩، ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلى: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ٤٩٥-٥٨٩هـ، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف – حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ج٨، ق١، ص١٠٥.

(٤) ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله المصري: الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة. تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٦٤، ٦٥.

(٥) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٣٣.

الشك في صحة أن المأمون له تدبير في ذلك، إذ أن المأمون وهذا حاله من قربه للأفضل، ومكانته التى لم يبلغها أحد، وتصريف الأمور في يده، فما الذي يدفعه إلى الإقدام على قتل من قربه وأدناه منه وأعطاه حرية في تصريف الشئون والأمور، وكذلك كيف للآمر أن يثق في المأمون ويتخذه وزيرًا من بعد الأفضل إن كان له يد في مقتله، وهو مع هذا القرب والود لم يصن هذا وأقدم على قتل مقرّبه ومدنيه، فكيف يأمن له الآمر، ويوزره، بل ويرفض أن يكون له وزير غيره.

وتهيأت الأحوال لتولي المأمون الوساطة(١)، ثم الوزارة بعد مقتل الأفضل(٢)، ولما تولى الوزارة، اتخذ لنفسه دارًا بالسيوفيين عُرفت بالدار المأمونية(٣)، فأصبحت مقر سكنه(٤).

وعلى الرغم مما وُجه إلى المأمون من اتهامات بالقتل، إلا إنه يُؤثر عنه أنه كان حافظًا لكتاب الله، فيُذكر أنه صلى الصبح خلف القاضي ثقة الملك مسلم بن علي بن الرسعني(٥)، فأخذ القاضي الهلع، ولحن في

(١) الأزدي: أخبار الدول، ص٢٨، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٦٠.

(٢) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١٠.

(٣) الدار المأمونية: كانت هذه الدار بالسيوفيين بجوار باب السلسلة، عرفت قديمًا بدار قوام الدولة، فلما سكنها المأمون عرفت به، ثم أصبحت مدرسة للسادة الحنفية عرفت باسم المدرسة السيوفية. "المقريزي: المواعظ، م٢، ص٥١٢".

(٤) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١١.

(٥) القاضي ثقة الملك أبو الفتح مسلم بن علي بن الرسعني: ولي قضاء مصر، ثم عزل من القضاء بسبب ضعفه عن ضبط آيات القرآن، وفي مدة قضائه رفع إلى الأفضل إضافة ودائع مال المواريث إلى بيت المال، فأبى الأفضل عليه ذلك ==

الفاتحة، وأخطأ عند قراءته في قوله تعالى (نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا) [١]، فردها المأمون عليه، فزاد استبهامًا، فكرر الرد عليه، فلم يهتد، وقام إلى الركعة الثانية، فلما قضيت الصلاة، وكل المأمون عليه حتى يحفظ القرآن، وعزله عن القضاء، وأقام فيه غيره[٢].

ويُعد المأمون من أنشط الوزراء، وأكثرهم اهتمامًا بالعمارة[٣]، فعمّر عددًا من المساجد، ومنها: جامع الفيلة[٤] الذي بدأه الأفضل ولم يكمله، فكمله المأمون في وزارته[٥]، وكذلك عمّر المأمون الجامع الأقمر[٦]

==

مفضلاً تركها لمستحقيها. "السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، بدون إيضاح أكثر من ذلك، ج٨، ص٩٧".

(١) سورة الشمس، الآية (١٣).

(٢) الأزدي: أخبار الدول، ص٩٢، ابن ميسر: المنتقى، ص١٠٤، ١٠٥.

(٣) محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠م، ص١٢٩.

(٤) جامع الفيلة: كان الأفضل بن أمير الجيوش قد شرع في عمارة جامع النيل بظاهر مصر عند الرصد المطل على بركة الحبش فى ٤٩٨هـ/١١٠٤م، ولم يكمله، فأكمله المأمون بعده فى وزارته، وأصبح يُعرف بالجامع الأقمر."ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، د. ت، ج٥، ص٣٠٢".

(٥) ابن الصيرفي: الإشارة، ص١٠٦، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ٢٨٤.

(٦) الجامع الأقمر: قيل: إن الحاكم بأمر الله كان قد اختطه، وبه حلقة تدريس يُدرس بها، فلما تولى الآمر أكمل عمارته، وتولى فعل ذلك المأمون البطائحي. "ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص٧٣".

بالقاهرة، وكان مكانه دكاكين علافين في ٥١٥هـ/١١٢١م[١]، و حينما ذكر للمأمون في ٥١٦ هـ/١١٢٢م بأن واحات البهنسا[٢] ليس بها جمعة تُقام، أمر ببناء جامع بها[٣]، كما بنى مسجدًا آخر عرف باسم المسجد الكافوري، وأمر في ٥١٦هـ/١١٢٢م بترميم جامع القرافة[٤]، فتم له ما أراد[٥]، وعمر بجواره طاحونًا، وجعلها سبيلاً، ورتب بها الدواب، وجعل عليها أمينًا، فصار أهل القرافة يطحنون فيها بغير أُجرة[٦]، وقيل: إن عدد

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص١١٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، المكتبة العصرية، ج٤، ص٣٨٦، القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية،١٣٤٠هـ/١٩٢٢م، ج٣، ص٤١١.

(٢) البهنسا: مدينة بمصر من الصعيد الأدنى، غربي النيل، وهي عامرة كبيرة، كثيرة الدخل، ويُصنع بها الستور، وفي ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م أصدر محمد علي والي مصر أمرًا بتسمية البهنسا باسم مأمورية الأقاليم الوسطى، وجعلت مدينة المنيا قاعدة لهذه المأمورية، وبذلك اختفى اسم البهنساوية من الأقسام الإدارية بمصر، وأصبحت البهنسا قرية من قرى مصر، مركز بني مزار. "ياقوت الحموي، أبو عبد الله: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج١، ص٥١٦، ٥١٧، محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ج٣، ص٢١١، ٢١٢".

(٣) المقريزي: المقفى، ج٣، ص٣٠٩.

(٤) القرافة: خطة بالفسطاط من مصر، كانت لبطن من المعافر، ثم أصبحت مقبرة أهل مصر، وبها أبنية جليلة، ومحال واسعة، ومشاهد للصالحين، ومقابر للأكابر مثل: ابن طولون، والإمام الشافعي. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣١٧".

(٥) المقريزي: المقفى، ج٦، ص٤٩٣ – المواعظ والاعتبار، م٤، ق١، ص٢٩٣.

(٦) المقريزي: المقفى، ج٦، ص٤٩٣.

ما أمر المأمون ببنائه من المساجد وكذلك ما أمر بتجديده منها بلغ نحو مائتي مسجد(١)، وعمَّر **دار الفطرة**(٢)، وكانت الفطرة أيام الأفضل تعمل بالإيوان، ثم في وزارة المأمون أصبح المكان بالإيوان ضيقًا، فأمر أن يجمع المهندسين، وأقطعهم قطعة تبنى دارًا للفِطرة(٣)، كما أمر ببناء **حارة المصامدة**(٤)، وكان المأمون قد استخلصهم وقربهم، فأمر المهندسين ببناء حارة لهم، وبجانبها مسجدًا، وبظاهر المسجد حوضًا، وأجرى له الماء(٥)، ولما أغلقت دار العلم في عهد الأفضل، سدت وصارت بابًا من جملة أبواب القصر، فلما أراد المأمون إعادة دار العلم، اتخذ موضعًا جديدًا لها، ليس ملاصقًا للقصر ولا مخالطًا له، فبُنيت، ورتب لها رجلاً دينًا يتولاها، واستخدم بها المقرئين(٦).

---

(١) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٠٧، ١٠٨.

(٢) دار الفطرة: موضعها قبالة مشهد الحسين، وكانت قديمًا اسطبلاً للخليفة تعرف بأرض الطارمة، فجعلها المأمون دار الفطرة. "ابن عبد الظاهر: الروضة، ص٢٦، ٢٩.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروضة، ص٢٧.

(٤) حارة المصامدة: بُنيت ظاهر باب الحديد على يسرة الخارج على شاطىء بركة الفيل. "ابن عبد الظاهر: الروضة، ص١٣٣"، والمصامدة: نسبة إلى مصمودة، وهي قبيلة بالمغرب، فيه موضع يُعرف بهم، ومنهم كان محمد بن تومرت صاحب دعوة بني عبد المؤمن، حتى تم له بالمغرب ما تم من الاستيلاء على البلاد والغلبة. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٣٦".

(٥) ابن عبد الظاهر: الروضة، ص١٣٣، ١٣٤، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٠٩.

(٦) ابن عبد الظاهر: الروضة، ص٣٣.

وقد عُرف المأمون بمحبته للفقهاء ومجالستهم، ففي ٥١٦هـ/١١٢٢م وصل إلى مصر الفقيه الأندلسي أبو بكر الطرطوشي(١)، فأمر المأمون بإكرامه، ولما شاهده وقف له، وأمر أن يحمل إليه ما يحتاج إليه، وقد أهدى له الطرطوشي كتابه المسمى "سراج الملوك"، وذكر أنه قد صنفه له(٢)، وقد تحدث الطرطوشي بذلك، فقال: ".. ولما رأيت الأجل المأمون تاج الخلافة، ... أبا عبد الله محمدًا الآمري..، قد تفضل الله تعالى به على المسلمين، فبسط فيهم يده..، وتقلد أمور الرعية، ..، رغبت أن أخصه بهذا الكتاب، رجاء لُطف الله تعالى، .."(٣).

لم يكن الطرطوشي وحده مصنفًا لكتب مُهداة أو مُؤَلفة للمأمون، فقد شاركه في ذلك ابن الصيرفي(٤) الذي ألفّ للمأمون كتاب "الإشارة إلى

---

(١) أبو بكر الطرطوشي: محمد بن الوليد، الأندلسي، الفقيه المالكي، نزيل الإسكندرية، بها سكن ودرس، ولد في ٤٥١هـ/١٠٥٩م، كان إمامًا، متواضعًا، وكان يأتى الفقهاء وهم نيام، فيضع في أفواههم الدنانير فيستفيقوا فيرونها في أفواههم، توفي في ٥٢٠هـ/١١٢٦م. "الذهبي: تاريخ الإسلام، م١١، ص٣٢٥، ٣٢٦".

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، م١١، ص٣٢٦، ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط٢، مصورة عن الطبعة الأولى، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٥، ص٢٣٢.

(٣) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد: سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، ط١، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، مج١، ص١١، ١٢.

(٤) ابن الصيرفي: علي بن منجب، كان أبوه صيرفيًا، ومهر هو في الكتابة، وعلا شأنه في البلاغة والشعر والخط، استخدمه الأفضل في ديوان المكاتبات، مات بعد ==

من نال الوزارة"، وذكر في مقدمة كتابه أن المأمون البطائحي يستحق الشكر على جهده في خدمة البلاد؛ ولذا حرص على أن يسطّر له كتابًا يذكر فيه مناقبه وفضله(١)، وكذلك صنف ابن سلاح البلبيسي(٢) كتابًا في سيرة المأمون(٣).

أيضًا كان المأمون أثناء وزارته له همَّة عالية، ورغبة في العلوم، ومنها الطب، فُيذكر أنه قد أمر الطبيب يوسف بن حسداي(٤) أن يشرح له كتب أبقراط(٥) في الطب، فشرع ابن حسداي في ذلك، وصنف للمأمون

==

٥٥٠هـ/١١٥٥م. "ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٤، ص٣٢٩".

(١) ابن الصيرفي: الإشارة، ص٤٦.

(٢) ابن سلاح البلبيسي: محمد بن الحسين بن إبراهيم، وقد عمل ابن سلاح هذا كاتبًا، وصار من الشعراء، ثم ولي قضاء الجيزة، وكان من أهل الأدب، بارعًا فيه. "المقريزي: المقفى، ج٥، ص٥٧٢، ٥٧٣".

(٣) المقريزي: المقفى، ج٥، ص٥٧٣.

(٤) يوسف بن حسداي: أبو جعفر، من الفضلاء في صناعة الطب، وكان خصيصًا بالمأمون البطائحي أثناء وزارته، وكانت فيه دعابة، توفي في حدود ٥٣٠هـ/١١٣٥م."ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ج١، ص٤٩٩، ٥٠٠، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٩، ص٤٠".

(٥) أبقراط: الطبيب، تعلم صناعة الطب من أبيه أيراقليدس، ومن جده أبقراط، حتى أتقنها وهو صبي ابن ست عشرة سنة، وقد خاف على صناعة الطب لقلة الأبناء

==

كتاب الشرح المأموني لكتاب الإيمان لأبقراط(١).

وقد مدح المأمون العديد من الشعراء الذين صنفوا القصائد في الثناء عليه ومنهم الأفطسي (٢) الشاعر(٣)، وأحمد المعروف بتلميذ بن سابق(٤)، الذي مدحه بعدة مدائح، منها:

السيد المأمونُ شمسُ نهارِنـــا من غير ما شكٍ ولا استثناءِ..

أمحمدُ المأمون، يا أَوْلى الورى بسعادة وأحقـــهم بثنـــاءِ..

وإذا أراد اللهُ رحمـــةَ بخلقِـــه ألقى أمورَهم إلى الرحمـــاءِ (٥)

==

المتوارثين لها، فرأى أن ينقلها إلى سائر الناس، توفي عن عُمر خمس وتسعين سنة."ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج١، ص٤٣: ٤٥".

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٤٩٩، ٥٠٠، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٩، ص٤٠.

(٢) الأفطسي: محمد بن محمد بن هبة الله، وُلد في ٤٦٢هـ/١٠٦٩م بطرابلس، قدم القاهرة في ٥٠١هـ/١١٠٧م، ثم ولي قضاء عسقلان، وعاد إلى القاهرة، فعمل بديوان الأحباس، ثم بقضاء المحلة، مات في ٥١٨هـ/١١٢٤م. "المقريزي: المقفى، ج٧، ص٩٦، ٩٧".

(٣) المقريزي: المقفى، ج٧، ص٩٨.

(٤) أحمد تلميذ بن سابق: أحمد بن مفرج الصقلي، اسُتخدم بديوان الإنشاء في ٥١٦هـ/ ١١٢٣م، ذُكر عنه أنه كان من أذكى الناس، وكان من المتصرفين في البلاغة، وجودة المعاني، مات في ٥٣٦هـ/١١٤١م."المقريزي: المقفى، ج١، ص ٦٦٧، ٦٧٠".

(٥) المقريزي: المقفى، ج١، ص٦٦٨.

وتتغير لغة المصادر وتصبح ضد المأمون في ٥١٨هـ/١١٢٤م، ويبدأ توهجه بالأفول، ففي ٥١٨هـ/١١٢٤م أخذ الإفرنج ثغر صور[١] بالأمان[٢]، إذ حاصروها، فقلت الأقوات بها، وطلب أهلها من مصر العون، فلم يهبّ المأمون البطائحي لنجدتهم، فأخذها الفرنج بالأمان[٣].

ولا حدث في ٥١٩هـ/١١٢٥م يعلو على حدث القبض على المأمون، بعدما وقعت الوحشة بينه وبين الخليفة الآمر، وقد تعددت الأسباب التى أدت إلى الجفوة بينهما، منها:

- أن بداية الجفاء جاءت عن طريق المأمون الذى صار يتغلب على الآمر، والآمر يتحمله حتى نفر منه، فاستوحش كل واحد من الآخر[٤].
- أن الخليفة الآمر اطلع على أن المأمون ادعى الخلافة بطريق أنه ولد نزار[١] من جارية خرجت من القصر وهي حامل به عندما خرج نزار إلى الإسكندرية[٢].

---

(١) صور: هي معدودة من أعمال الأردن، شرقي عكا، ومشرفة على بحر الشام، وكانت من ثغور المسلمين، وهي حصينة جدًا، لا سبيل إليها إلا بالخذلان، افتتحها المسلمون في أيام الخلفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٣".

(٢) الأزدي: أخبار الدول، ص٨٧، ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص٥، الروحي: بلغة الظرفاء، ص٣٣١.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ مدينة دمشق، ص٣٣٦، ٣٣٧، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٢٧.

(٤) الأزدي: أخبار الدول، ص٨٨، ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١١.

- أيضًا قيل: إن المأمون سير إلى اليمن رجلاً يقال له: ابن نجيب الدولة[٣]؛ ليحقق نسبة المأمون إلى نزار، ويدعو الناس إلى بيعته[٤]، بينما ذكر عمارة اليمني[٥] أن المأمون أرسل رسولاً إلى

==

(١) نزار بن المستنصر الفاطمي، هرب نزار من أخيه الخليفة الفاطمي المستعلي، وتوجه إلى الإسكندرية، وبايعه أهلها، لكن الأفضل وزير المستعلي أرسل وراءه إلى الإسكندرية لمحاربته، وتم القبض عليه وأُحضر إلى القاهرة، وبنى عليه حائط فهلك في ٤٩٤هـ/١١٠٠م. "ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص٤٠٢".

(٢) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١٢، ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٧٠، ٧١.

(٣) ابن نجيب الدولة: علي بن إبراهيم، كان فى أول أمره على خزانة الكتب الأفضلية، وصل إلى اليمن والتقى فيها بأحد الدعاة الذي كشف له أحوال الناس فيها، وكان المأمون طيب العلاقة به، يقويه ويشد من أزره، حتى شاع عنه أنه يدعو إلى المأمون وأنه من ولد نزار، فأمر الخليفة الآمر بالقبض عليه وإحضاره إلى مصر، فأحضر في ٥١٩هـ/١١٢٥م. "عمارة اليمني، عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي: تاريخ اليمن، تحقيق: حسن سليمان محمود، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٩٢، ٩٣".

(٤) الأصفهاني: البستان، ص٣٣١، ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١٢، المناوي: الوزارة، ص٦٣٨.

(٥) عمارة اليمني: عمارة بن علي بن زيد، كان فقيهًا على المذهب الشافعي، نزل على مصر، ثم شرع في التعصب للعبيديين وإعادة دولتهم، فقتل مع أعدائه لهذا السبب في عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م. "ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٧، ج١، ص٢٥١، اليافعي اليمني، عبد الله بن أسعد بن علي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٣، ص٣٩٠".

اليمن ليجتمع بابن نجيب الدولة، فلما وصل وتقابل مع ابن نجيب الدولة لم يكرمه، وقصد أن يغض منه، فالتصق أعداء ابن نجيب الدولة بهذا الرسول، وأكثروا بره، فدلهم الرسول على أن هلاك ابن نجيب الدولة يتم بأمرين، أحدهما: أنهم يكتبون كتبًا إلى الآمر يرسلونها معه يذكرون فيها أن ابن نجيب الدولة دعاهم إلى نزار. والثاني: أن يضربوا عملة نزارية، ويتولى الرسول إيصال الكتب والعملة إلى الخليفة الآمر، ففعلوا ذلك، وأوصل الرسول الكتب والعملة إلى الآمر، فأصدر أمره بالقبض على ابن نجيب الدولة، والإتيان به إلى مصر(١)، وعلى هذا فعمارة اليمني لا ينسب إلى المأمون تهمة البيعة له، بل هى مكيدة دبرت لصديقه ابن نجيب الدولة، فأضرت به.

- ويذكر أيضًا في سبب القبض على المأمون: أنه بعث إلى الأمير جعفر بن الخليفة المستعلي(٢) وأخي الآمر يُغريه بقتل أخيه الخليفة، ووعده أنه يُعتمد مكانه في الخلافة، فلما اتفقا على ذلك،

(١) تاريخ اليمن، ص٩٦، ٩٧، وتبع عمارة في ذلك إدريس الداعي، عماد الدين: عيون الأخبار وفنون الآثار. تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨م، السبع السابع، ص٢٨٤.

(٢) المستعلي بالله: أحمد بن المستنصر بالله العبيدي، ولي بعد أبيه ثمان سنين، وفي أيامه انقطعت دولته من الشام، واستولى عليها الأتراك والفرنج، واستوزر الأفضل، فلم يكن له معه حل ولا ربط، توفي المستعلي في ٤٩٥هـ/١١٠١م، وله تسع وعشرون سنة."الذهبي: العبر، ج٣، ص٣٤٣".

بَلَغ الشيخ أبا الحسن علي بن أبي أسامة[١] كاتب الدست[٢] هذا الخبر، وكان المأمون يؤذيه كثيرًا، فأعلم الشيخ الخليفة الآمر بنبأ هذا الاتفاق[٣].

- كما قيل في سبب القبض على المأمون: إنه سمَّ مبضعًا[٤]، وأعطاه إلى فصاد الخليفة، فأعلم الفصاد الخليفة بالمبضع[٥].
- وقيل في تغير الخليفة الآمر عليه قول الآمر: "أعظم ذنوبه عندي ما جرى منه في حق صور وإخراجها من يد الإسلام إلى الكفر"[٦].

---

(١) أبو الحسن بن أبي أسامة: استعمله الأفضل على ديوان الإنشاء، كان محببًا إلى الرعية، فلما أراد الأفضل أن يعزله بابن الصيرفي واستشار في ذلك، قيل له:"إن قدرت أن تفديه من الموت يومًا واحدًا بنصف مملكتك فافعل، ولا تخل الدولة منه، فإنه جمالها، فأقره في منصبه. "ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٤، ص٣٢٩".

(٢) كتَّاب الدست: هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل في المواكب على ترتيب منازلهم، ويقرؤن القصص على السلطان، ويوقعون على القصص، وسُموا بذلك إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه، لجلوسهم للكتابة بين يديه. "القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة مصورة عن دار الكتب الخدوية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج١، ص١٣٧".

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٢٣١٤، ابن ميسر: المنتقى، ص١٢٩.

(٤) المبضع: المشرط، وهو ما يُبضع به العرق والأديم، والباضعة التي تقطع الجلد وتشق اللحم. "ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري: لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٨، ص١٣".

(٥) ابن ميسر: المنتقى، ص١٢٩، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٣٢.

(٦) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١٦، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٣٩.

- ومما ذُكر أيضًا: أن حيدرة أخا المأمون صار عظيم الجاه بعد ولايته على الإسكندرية، واتخذ لنفسه عسكرًا ليكون ردءًا له ولأخيه إذا ما قصد الخليفة بهما ضررًا، واتخذا لهما من الأعوان ما يُشد بهم أزرهما مثل علي بن السلار(١)، وتاج الملوك قايماز(٢) وغيرهما، وكان لكل واحد من الأعوان جيش بمفرده، والخليفة يعلم ذلك ولا ينكره(٣).
- وذُكر أن المأمون والمؤتمن قد دبرا في القبض على الآمر(٤)، فلما علم سبقهما إلى ذلك، ودبر الحيلة على المأمون وأخيه المؤتمن ورفاقهم من الأعوان، حتى يتسنى له القبض عليهم جميعًا قبل أن يتنبهوا إلى انكشاف أمرهم إليه، فأرسل الخليفة الآمر من يستميل علي بن السلار ومن معه إليه ويُبعدهم عن المؤتمن، فاستجاب علي بن السلار ورفاقه، وتفرقوا عن المؤتمن، فتوجس المؤتمن

(١) علي بن السلار: الكردي ثم المصري، وزير الظافر، أقبل من الإسكندرية إلى القاهرة لتولي الوزارة بالقهر من الوزير ابن مصّال، فتحارب الاثنان، وانتصر ابن السلار، كان ابن السلار سنيًا، شجاعًا مقدامًا، ومع ذلك ذُكر عنه: أنه كان جبارًا ظالمًا، شديد البأس، قتل في ٥٤٨هـ/١١٥٣م. "الذهبي: العبر، ج٤، ص١٣٢".

(٢) تاج الملوك قايماز: من كبار الأمراء، حسده الصالح طلائع بن زريك على علو مكانته في عهد الظافر، فقرر أن يتخلص منه، فأطلق وراءه الجند، فهرب، وقامت الجند بنهب بيته، ثم قتل في ٥٤٩هـ/١١٥٤م. "ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٩٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد، مصر، د. ت، ج٥، ص٣١٢".

(٣) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١١، ١٢، ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٧٠.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، دار الكتب، ج٥، ص٢٢٩.

خيفة من ذلك، وكتب إلى أخيه يعلمه الخبر، فتصرف المأمون بأن تحدث إلى الخليفة الآمر بأن أخاه يريد الحضور إلى مصر والمقام بها حتى يتسنى له خدمة الخليفة مباشرة، فرحب الخليفة الآمر بذلك، فحضر المؤتمن من الإسكندرية، وأكرمه الخليفة، حتى كان شهر رمضان وفيه يُمد السماط، فأمر الخليفة الآمر بأن يحضر المأمون وإخوته السماط، فأكرمهم جميعًا في أول ليلة، وكذا في الثانية، فلما كانت الليلة الثالثة كان الآمر قد رتب في القصر من يختبئ ليقوم بإلقاء القبض عليهم حين اجتماعهم مع الآمر، فانفرد الآمر بالمأمون أولاً، ثم أمره بإدخال أخيه المؤتمن، فاجتمعا عنده، وعند خروجهما قبض عليهما، واعتقلهما(١)، وقبض على إخوته أيضًا مع ثلاثين رجلاً من خواصه وأهله(٢) في ٥١٦هـ/١١٢٥م، وأخذ أموالهما وذخائرهما(٣)، ولعل السبب الراجح وراء قتل المأمون هو تعاظم نفوذه ونفوذ أخيه المؤتمن، إذ من المستبعد أن يقوم المأمون بالدعوة لنفسه ليكون خليفة، أو السعي للمستعلي في الخلافة، لأنه كان مقربًا من الخليفة الآمر، وكان عنده مسموع الرأي، مطاعًا، مكرمًا، يحظى بمنزلة عالية، فما الذي يدعوه إلى التآمر على الخليفة، ومحاولة قتله بالسم في ظل هذا الوصل

(١) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص٣٣٨، ٣٣٩، ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١٣، ١٤.

(٢) الأصفهاني: البستان، ص٣٣٢، ابن ميسر: المنتقى، ص١٢٨، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٩١.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، دار الكتب، ج٥، ص٢٢٩.

والقرب، وكذلك من المستبعد أن يكون الخليفة تخلص منه بعد ضياع صور باستيلاء الفرنج عليها، لأنه لم يفعل ذلك في حينه، وعليه يكون تعاظم نفوذ المأمون وأخيه وخشية الآمر منهما هو السبب الأقرب للخلاص منهما، خاصة وأن الخليفة قد نُسب له بمساعدة المأمون الخلاص من الأفضل لهذا السبب.

وأعقب ذلك أن أمر الخليفة الآمر بإحضار الشيخ الأجل أبي الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست لينشىء شيئًا في أمرهما يقرؤه على المنبر، فلما حضر الشيخ أُدخل إلى المأمون والمؤتمن، فرآهما مكبلين في الحديد، فكتب مستفتحًا: "أما بعد؛ فإن محمد بن فاتك قد استُنجح فما نجح، واستُصلح فما صلح، وجَهِلَ رَفْع قدره بعد الهبوط، وقابل الإحسان إليه بدواعي القنوط"، وقرئ هذا السجل في الصباح على الأمراء والعوام(١).

وفي ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م صدرت أوامر الخليفة الآمر بقتل المأمون البطائحي(٢) وابن نجيب الدولة الذي أُحضر من اليمن،

(١) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص١٤، ١٥.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٤٤، الأزدي: أخبار الدول، ص٩١، ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ص٣٦١، ابن ميسر: المنتقى، ص١٣٣، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٩١، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٤٦، في حين ذكر ابن الأثير في الكامل أن مقتله كان في ٥١٩هـ/١١٢٥م، ج٢، ص٢٣١٤، ومثله الروحي: بلغة الظرفاء، ص٣٣٢، والدواداري: "كنز الدرر، ج٦، ص٤٩٦، والذهبي في تاريخ الإسلام، م١١، ص٣٠٤، والعبر، ج٤، ص٤٤، ٤٥، بينما ذكر ابن خلكان أنه قتل في ٥٢١هـ/١١٢٧م، وفيات الأعيان، مكتبة النهضة المصرية، ج٤، ص٣٨٤، والراجح ما ذكره ابنه ومن تبعه.

وصالح بن العفيف[١]، فقتلوا جميعًا[٢].

(ملامح عصر ابن المأمون):

ليس معروفًا على وجه التحديد تاريخ ميلاد ابن المأمون حتى يتسنى معرفة بداية معايشته لعصر الفاطميين من أين تبدأ، والثابت معاصرته لعصر الخليفة الفاطمي الآمر، وما تلاه من عصور حتى وفاته في خلافة السلطان صلاح الدين الأيوبي[٣] على مصر.

وقد تولى الخليفة الآمر حكم مصر الفاطمية في ٤٩٥هـ/١١٠١م[٤]، وقام بتدبير دولته وزيره الأفضل، حتى قُتل في ٥١٥هـ/١١٢١م[٥]، فاستوزر الخليفة الآمر الفاطمي المأمون

(١) وقيل: اسمه صالح بن الضيف، وكان من نشو المأمون، وسُجن معه. "المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص١٤٦".

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص١٣٣، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٤٦.

(٣) صلاح الدين الأيوبي: يوسف بن شادي، سلطان مصر والشام والجزيرة، ولد بتكريت، وتسلطن فى ٥٦٤هـ/١١٦٨م، كان كريمًا، حسن الأخلاق، متواضعًا، سمع الحديث، وكان عنده علم ومعرفة، عظيم الجهاد، وفتوحاته تدل على ذلك، توفي ٥٨٩هـ/١١٩٣م. " ابن الأثير: الكامل فى التاريخ. تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٥١٥هـ، ج ١٠، ص٢٢٤، ٢٢٥".

(٤) ابن الصيرفي: الإشارة، ص١٠١، ابن القطان: نظم الجمان، ص٧٥، ابن ميسر: المنتقى، ص٨٧.

(٥) الأزدي: أخبار الدول، ص٨٨، ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص٧، محمد جمال الدين سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، ص٩٥.

البطائحي[١]، ثم قبض الآمر عليه، وأمر بقتله، وبقي بعده من غير وزير[٢]، ولعله – من وجهة نظره – سئم تسلط وتآمر الوزراء، فأراح نفسه من هذا العناء بترك هذا المنصب شاغرًا.

أما عن الأحوال الاجتماعية، فقد كانت في عهد الخليفة الآمر حسنة، ومن ذلك: أنه أمر بإفراد مال المواريث، ومنع من أخذ شيء من التركات، وأمر بحفظها لأربابها[٣]، وعمر العديد من العمائر والمناظر، والأسواق[٤]، كما أجرى الماء من النيل إلى القرافة[٥]، وعمر العديد من المساجد[٦]، والبساتين والمتنزهات[٧]، وأنشأ الآمر دارًا لضرب العملة أطلق عليها اسم "الدار الآمرية"[٨]، وذلك في ٥١٤هـ/١١٢٠م، وأمر بأن يُضرب فيها الدنانير الذهبية الخالصة[٩]، إلى غير ذلك من الأمور التي تجعل الجانب الاجتماعي على عهد الآمر الفاطمي مزدهرًا

(١) الأزدي: أخبار الدول، ص٨٨، ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص١٠٥.
(٢) الأزدي: أخبار الدول، ص٩٢، الروحي: بلغة الظرفاء، ص٣٢٢.
(٣) ابن ميسر: المنتقى، ص١٠٣، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٧٥.
(٤) الدواداري: كنز الدرر، ج٦، ص٤٨٧.
(٥) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص١٠٦.
(٦) النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٨٤، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٧٦.
(٧) ابن ميسر: المنتقى، ص١٠٨.
(٨) ابن عبد الظاهر: الروضة، ص٣٣.
(٩) ابن بعرة الكاملي، منصور الذهبي: كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية. تحقيق: عبد الرحمن فهمي، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكتاب الثامن، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م، ص٤٩: ٥٣.

ومن أبرز الأحداث في سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م مقتل الخليفة الآمر(١)، قتله جماعة من أعوان النزارية(٢)؛ لأنه وأباه المستعلي غصبا الخلافة منهم بعد أن كان النص على نزار(٣).

وتولى الخلافة عقب وفاة الآمر الخليفة الحافظ لدين الله(٤) في ٥٢٤هـ/١١٢٩م(٥)، ولما ولي استوزر من جديد، وقد استوزر أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي(٦)، فتغلب على الحافظ(٧)، وأودعه

(١) القلانسي: تاريخ دمشق، ص٣٦٢، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص٢٣٢٨.

(٢) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص٢٣، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٩٤.

(٣) الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص٩١.

(٤) الحافظ لدين الله: بُويع له بولاية العهد يوم وفاة الآمر في ٥٢٤هـ/١١٢٩م، وخطب له على المنابر، وولي ابنه حسن العهد، مات الحافظ في ٥٤٣هـ/١١٤٨م. "الروحي: بلغة الظرفاء، ص٣٣٤: ٣٤٠".

(٥) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص٢٦، ابن خلكان: وفيات، مكتبة النهضة المصرية، ج٤، ص٣٨٦، العيني، بدر الدين محمود بن أحمد: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان – السنوات ٥٢١: ٥٧٨هـ، مخطوطة رقم (٢٩)، محفوظة بتركيا، استنابول، متحف طوب قابو، أحمد الثالث، ج١٢، وجه ١١.

(٦) أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي، كان شهمًا، شجاعًا، مهيبًا، لما تولى الوزارة للحافظ حجر عليه، واستولى على البلاد، وأهمل الخلفاء العبيديين والدعاء لهم، وأظهر التمسك بالإمام المنتظر، وغير قواعد الباطنية، فأبغضه الأمراء والدعاة، فقتل في ٥٢٦هـ/١١٣١م."الذهبي: تاريخ الإسلام، م١١، ص٤٤٣".

(٧) إدريس الداعي: عيون الأخبار، ج٧، ص٣١٣.

السجن[١]، واستبد بالأمر[٢]، ولم يدم أمره طويلاً، إذ قتله أحد الأجناد في٥٢٦هـ/١١٣٧م، وتم إخراج الحافظ من محبسه، ورجع إلى ملكه[٣].

وقد توفي الحافظ في ٥٤٤هـ/١١٤٩م، فخلفه ابنه الظافر بأعداء الله[٤]في خلافة الفاطميين[٥]، وفى عهده دار الصراع على الوزارة بين ابن مصال[٦] الذي وليها، وبين العادل بن السلار الذي تولاها من بعد ابن

(١) الأصفهاني: البستان، ص٢٣٩، ابن الاثير: الكامل، ج٢، المكتبة العصرية، ص٢٣٢٨.

(٢) الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص٩٤، الروحي: بلغة الظرفاء، ص٣٣٤، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٩٧، ابن قاضي شهبة، محمد بن أبي بكر: الكواكب الدرية في السيرة النورية (تاريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي)، تحقيق: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م، ص٩٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص٢٣٢٨، الروحي: بلغة الظرفاء، ص٣٣٧، ابن واصل: التاريخ الصالحي، ج٢، ص١٧٦، ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٧٢".

(٤) الظافر بأعداء الله: إسماعيل بن الحافظ العبيدي، تولى خلافة مصر عقب وفاة أبيه، وبقي بها خمسة أعوام، قيل عنه: كان شابًا لعابًا، منهمكًا في الملاهي، توفي في ٥٤٩هـ/١١٥٤م."الذهبي: العبر، ج٤، ص١٣٦".

(٥) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٢٠٣، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص٣٦١، العيني: عقد الجمان،ج١٢، وجه٧٠، الإسحاقي: محمد عبد المعطي المنوفي: لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول. تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، الكويت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٧٢.

(٦) ابن مصال: سليم، تولى الوزارة للظافر الفاطمي، فأقام فيها شهرين، فخرج عليه ابن السلار والي البحيرة والإسكندرية، فخرج ابن مصال إلى الصعيد، وتولى الوزارة ابن السلار، ثم اقتتلا، فقتل ابن مصال، واستقل ابن السلار بالوزارة في ==

مصال[١]، ثم دار الصراع بين ابن السلار وبين عباس الصنهاجي[٢] على الوزارة، انتهى باعتلاء عباس منصب الوزارة[٣] في ٥٤٨هـ/١١٥٣م، وصارت له الكلمة[٤]، ودبر على الخليفة الظافر حتى قتله في ٥٤٩هـ/١١٥٤م[٥].

==

٥٤٥هـ/١١٥٠م. "ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، وزارة الثقافة، ج٥، ص٢٩٥، ٢٩٨".

(١) أسامة بن منقذ، أبو ظفر بن مرشد الكناني: الاعتبار، الولايات المتحدة، مطبعة جامعة برستون، ١٩٣٠م، ص٧، الأصفهاني: البستان، ص ٣٦٥، أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، ط٢، دار الكتب المصرية – مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ق١، ص١٩٥.

(٢) عباس الصنهاجي: عباس بن أبي الفتوح بن يحيى، جاء من إفريقية إلى مصر صحبة أمه بلاّره، فتزوجها العادل رزيك بن طلائع، أما العباس فقد جهزه العادل لجهاد الفرنج في الشام، لكنه حزن لكونه يفارق مصر إلى لقاء العدو، فأُشير عليه بقتل العادل، وأن يباشر ذلك ولد للعباس يُدعى نصرًا كان يعيش فى بيت العادل، فقتله في ٥٤٨هـ/١١٥٣م. "ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار الثقافة، ج٣، ص٤٤١".

(٣) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص١٩، الأصفهاني: البستان، ص٣٧٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص٢٣٩٤، أبو شامة: الروضتين، ج١، ق١، ص٢٢٧.

(٥) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٢٢٣، الدواداري: كنز الدرر، ج٦، ص٥٥٧.

وقد خلف الظافر في حكم مصر ابنه عيسى الملقب بالفائز بنصر الله[١]، وذلك في ٥٤٩هـ/١١٥٤م، وظل عباس الصنهاجي في الوزارة، وانفرد بالأمر دون الفائز، فضاق أهل القصر من استبداده بالأمور، واستنجدوا بالصالح طلائع بن رزيك[٢]، فجاء قاصدًا القاهرة، وانضم إليه الكثير من الأمراء والأحفاد منصرفين عن عباس الصنهاجي[٣]، مما اضطره إلى مغادرة القاهرة قاصدًا الشام[٤]، أما الصالح طلائع فإنه دخل القاهرة بغير حرب، وتولى الوزارة للخليفة الفائز[٥]، وتم القبض على عباس الصنهاجي وقتله[٦].

---

(١) الفائز بنصر الله: أبو القاسم عيسى بن إسماعيل، بُويع له في ٥٤٩هـ/١١٥٤م، وزر له عباس الصنهاجي، فلما هرب وقُتل، وزر من بعده طلائع بن زريك للخليفة الفائز، وكانت خلافة الفائز ست سنين وشهرًا، إذ توفي في ٥٥٥هـ/١١٦٠م، ولم يكن له أبناء. "الروحي: بلغة الظرفاء، ص٣٤٤، ٣٤٥".

(٢) طلائع بن زريك: الملقب بالملك الصالح، ولد في ٤٩٥هـ/١١٠١م، كان واليًا على منية بني خصيب، وتولى الوزارة للفائز الفاطمي، فاستقل بتدبير الأمور، كان فاضلاً سمحًا في العطاء، جيد الشعر، ومات في ٥٥٦هـ/١١٦٠م. "ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار الثقافة، ج٢، ص٥٢٧، ٥٢٨".

(٣) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص٢١، الذهبي: تاريخ الإسلام، م١١، ص٧٧٤.

(٤) الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص١٠٨، ١٠٩، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣١٩.

(٥) عمارة اليمني: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٨٩٧م، ص٣٢.

(٦) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص٢٦، ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ص٣٦١.

وقد توفي الخليفة الفائز في ٥٥٥هـ/١١٦٠م، فبُويع بالخلافة العاضد لدين الله عبد الله[١]، واستمر الصالح طلائع في منصب الوزارة[٢]، فقتل العديد من أمراء الدولة خشيةً منهم، فقام العاضد بإعمال الحيلة عليه، ووافق بعض القوم على قتله، فكمنوا له حتى وثبوا عليه وقتلوه، وتولى الوزارة من بعده ولده العادل رزيك بن طلائع[٣] في ٥٥٦هـ/١١٦٠م[٤].

واستمر الصراع في مصر حول وظيفة الوزارة، واشتعل بين شاور[٥] والي الصعيد، وبين الوزير رزيك بن طلائع، حتى

(١) العاضد لدين الله: وُلد في ٥٤٦هـ/١١٥١م، وتولى حكم الفاطميين بمساندة الصالح بن رزيك، مات فى ٥٦٧هـ/١١٧١م، قيل: بإسهال مفرط، وقيل: لما سمع بقطع الخطبة له على يد صلاح الدين الأيوبي. "ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، مكتبة القدس، ١٣٥١هـ، ج٤، ص٢٢٢، ٢٢٣".

(٢) الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص١١١، ابن الأثير الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص٢٤٤١.

(٣) رزيك بن طلائع: تولى الوزارة في ٥٥٦هـ/١١٦٠م، ولُقب بالعادل، ظل في صراع مع شاور حول الوزارة، حتى قتله في ٥٥٨هـ/١١٦٢م."ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار الثقافة، ج٢، ص٤٤٤، ٥٢٨".

(٤) عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٥٣، الأصفهاني: البستان، ص٣٨٢، ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٧٦.

(٥) شاور: أبو شجاع، كان الصالح بن رزيك وزير العاضد قد ولاه على الصعيد الأعلى، ثم ندم على توليته إياه عليها، وقد قدم شاور من الصعيد على القاهرة فدخلها في ٥٥٨هـ/١١٦٢، واستولى على الوزارة فيها من العادل رزيك بن طلائع، ثم خرج عليه ضرغام يريد الوزارة، فتحاربا حتى هُزم شاور وقتل في ٥٦٤هـ/١١٦٨م. "ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار الثقافة، ج٢، ص٤٤٠".

قتل في أثناء هذا الصراع(١)، واعتلى شاور الوزارة، لكن نازعه ضرغام(٢)، واتجه كل طرف من أطراف النزاع إلى الاستعانة بالقوى الخارجية ضد خصمه، وظلت مصر مسرحًا لتلك الصراعات حتى انتهت بوفاة ضرغام، ومن بعده شاور، وآلت الوزارة في مصر إلى أسد الدين شيركوه(٣)، ثم من بعده إلى صلاح الدين في ٥٦٤هـ/١١٦٨م(٤)، حتى ٥٦٧هـ/١١٧١م، ذلك العام الذي عزم فيه على إعلان انتهاء الدولة الفاطمية بإسقاط اسم

(١) الأصفهاني: البستان، ص٣٨٤، ٣٨٥، العيني: عقد الجمان، ج١٢، وجه ١٢٦.

(٢) ضرغام: نازع ضرغام شاور في الوزارة حتى غلب عليها، فهرب شاور إلى الشام يستغيث بنور الدين محمود يرسل جيشًا إلى مصر يمكّن شاور من عودته إلى الوزارة، فلبى نور الدين، وأرسل شيركوه بجيش في ٥٥٩هـ/١١٦٣م، فلما وصل إلى بليس تصدى له ناصر الدين أخو ضرغام بعسكر المصريين، فهُزم ناصر الدين، وواصل شيركوه سيره إلى القاهرة، فهرب منها ضرغام، لكنه أُدرك وقتل ودفن بالقرافة."ابن الأثير: الكامل، ج٩، دار الكتب العلمية، ص٤٦٥، ٤٦٦".

(٣) أسد الدين شيركوه: أبو الحارث بن شادي بن مروان، تولى وزارة الديار المصرية في ٥٦٤هـ/١١٦٨م، وأقام بها شهرين وخمسة أيام، ثم توفي فجأة في ٥٦٤هـ/١١٦٨م بالقاهرة، ودفن بها، ثم نقل منها إلى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بوصية منه. "ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار الثقافة، ج٢، ص٤٨٠".

(٤) الأصفهاني: البستان، ص ٣٩٨، البنداري، الفتح بن علي: سنا البرق الشامي، اختصار كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني. تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٩م، ج١، ص٤٢.

الخليفة العاضد من الخطبة[١]، واعلانها للإمام المستضيء العباسي[٢]، والدعوة له[٣].

وتولى صلاح الدين الأيوبي حكم مصر، فأمر في ٥٦٧هـ/١١٧١م بإبطال المكوس والضرائب[٤]، ثم كان عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م الذي رحل فيه إلى الشام في رحلة جهاده ضد الفرنج، وقد استغرقت رحلته تلك اثنتي عشرة سنة، وقد مَنَّ الله عليه أثناء رحلته بالانتصار على الفرنج في عدة مواقع، وظل على جهاده حتى وافته المنية في ٥٨٩هـ/١١٩٣م[٥].

---

(١) ابن حماد، محمد بن علي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط١، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٤م، ص٤٥.

(٢) المستضيء بأمر الله: أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بالله، وُلد في ٥٣٦هـ/١١٤١م، وولي الخلافة العباسية يوم وفاة أبيه في ٥٦٦هـ/١١٧٠م اشتهر بعدله وحسن سيرته، أمر بإطلاق المحبوسين، وفرق في الناس الأموال، وأمر بإسقاط المكوس، وخطب له على منابر مصر على يد أسد الدين شيركوه، مات ٥٦٩هـ/١١٧٣م. "الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ج٢، ص٤٥٥، ٤٥٦".

(٣) الروحي: بلغة الظرفاء، ص٣٥٦، ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٢٨٥، ٢٩٠.

(٤) أبو شامة: الروضتين، ج١، ص٥٢٢، ابن قاضي شهبة: الكواكب، ص٢١٥.

(٥) الأصفهاني: البستان، ص٤٤٤، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص٢٥٩٩.

وهكذا، احتلت الدولتان الفاطمية والأيوبية مكانة بارزة جعلت من عصرهما حقبة جديرة بالدراسة، ولا شك أن حياة ابن المأمون قد تأثرت بالظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بنشأته.

المبحث الثاني

(السيرة المأمونية المضمون والمحتوى)

عنوان السيرة:

لم يحدد أحد من الذين اعتمدوا على تاريخ ابن المأمون عنوان كتابه، إذ اختلفوا فيه، فتارة يُطلق عليه اسم نصوص من "أخبار مصر" وتارة أخرى اسم "السيرة المأمونية"، لكن غالبًا ما يُنسب النقل منه إلى المؤلف، كأن يقال: "قال ابن المأمون في تاريخه..."، أو "قال ناظم سيرة المأمون..."، أو "جامع السيرة المأمونية" أو "تاريخ ابن المأمون" أو "سيرة المأمون"(١)، والمرجح من بين كل ذلك أن يُطلق عليها اسم "السيرة المأمونية".

سنوات السيرة:

يتناول الكتاب أحداث التاريخ المصري في فترة مهمة من ٥٠١-٥١٩هـ/١١٠٧ -١١٢٥م، وهي الفترة التي بدأ فيها والده المأمون يظهر على مسرح الأحداث في وزارة الأفضل، ثم تولى المأمون الوزارة عقب مقتل الأفضل، وصولاً إلى القبض على المأمون البطائحي في ٥١٩هـ/١١٢٥م؛ هذا بالإضافة إلى إشارات متفرقة حواها الكتاب عن أحداث تقع في سنوات متأخرة امتد بعضها إلى العصر الأيوبي مثل

(١) الأزدي: أخبار الدول ص٩٢، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٧٢، حاشية المحقق، السلوك، ج١، ص١١١، ابن المأمون: السيرة المأمونية، مقدمة المحقق، ص١٨، ١٩.

٥٢٢هـ/١١٢٨م- ٥٣١هـ/١١٣٦م- ٥٣٥هـ/١١٤٠م- ٥٦٣هـ/١١٦٧م- ٥٨٦هـ/١١٩٠م[١].

وحقيقة، تبدأ السيرة بالتأريخ لعام ٥٠١هـ/١١٠٧م، وتنتهي في تأريخها بحوادث عام ٥١٩هـ/١١٢٥م، ولكن يتخلل تلك الفترة سنوات ساقطة لم يصل إلينا في السيرة تأريخ لها، وهذه السنوات إما متعاقبات، كسقوط أحداث الفترة من ٥٠٢هـ/١١٠٨م إلى ٥٠٥ هـ/١١١١م، وإما متفرقات، مثل ذكره أحداث ٥٠٦هـ/١١١٢م، تسقط أحداث ٥٠٧هـ/١١١٣م، وكذلك ٥٠٨هـ/١١١٤م، ثم يذكر ٥٠٩هـ/١١١٥م، وكذلك ٥١٠هـ/١١١٦م ، ويُسقط عامي ٥١١هـ/١١١٧م، و٥١٢هـ/١١١٨م من السيرة، ثم يذكر عام ٥١٣هـ/١١١٩م، وتسقط أحداث ٥١٤هـ/١١٢٠م، فجميع تلك السنوات لم يثبت لها ذكر في السيرة التي وصلت إلينا، وما عدا ذلك فقد أثبته، ولعل ما سقط من السيرة التي بين أيدينا مثبت في عمل المؤلف، لكن لم يصل إليه المنتقون من سيرته، أو وصلوا إليه ولم ينتقوه.

سبب تأليف السيرة:

لم يذكر ابن المأمون أو يُورد لنا فيما أورد من أحداث سيرته سببًا لتأليفه هذه السيرة، ولكن من الممكن استخلاص واستنتاج بعض الأسباب التي من أجلها ألفها، ومنها:

- **نصرة لأبيه المقتول**، إذ إن السيرة تعداد لمحاسن أبيه وما قدمه من خدمات جليلة وما استحدثه من نظم وما تبوأه من

(١) ابن المأمون: السيرة المأمونية، مقدمة المحقق، ص٩، ١٧.

مكانة ورفعة، فإذا بهذا كله ينتهي بقتله، فألفه نصرة له دونما التعصب لأحد أو الخوض في حق أحد، خاصة وأن قاتل أبيه كان الخليفة، فلن يستطيع ابن المأمون التعبير عن حزنه أو أخذ حق أبيه من إمامهم، فأخفى حزنه، وأعلم غيره بطريق غير مباشر بسوء صنع الآمر في حق من أخلص وتفانى؛ وأن احترامه الزائد أبعده من إظهار ذلك مباشرة، فضمنه بين دافتي كتاب.

وما سبق هو أحد الأسباب وراء التأليف في السير، فهي أحيانًا تعد نوعًا من الاحتجاج على الظلم ، فيُحمل هذا ضمن السطور، إلى جانب تأويله الخاص الذاتي(١)، ولعل ما يؤكد هذا أن ابن المأمون لم يثبت وجود مؤلفات أو تصانيف أخرى له، ولذا عده المؤرخ شاكر مصطفى(٢) من المؤرخين الثانويين، ليس لقلة شأنه وقيمته، بل لأنه محدود الإنتاج، بالإضافة إلى ضياع الأثر وهو كتابه الذي لم يصل إلينا إلا عن طريق اقتباسات المؤرخين منه.

- وربما يدخل ضمن سبب تأليف ابن المأمون سيرة تؤرخ لوالده، **تعبيرًا منه عما يكنّه له من الاحترام والتقدير** ولو أساء أحد فيه الظنون، أو عُد متهمًا في نظر البعض.
- أنه أراد **تخليد ذكرى والده** بكتاب يحوي سيرته وأعماله أثناء توليه الوزارة(٣).

(١) شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون، ج١، ص٣٦٧، ٤٥٧.
(٢) التاريخ والمؤرخون، ج٢، ص ١٩٧، ٢١١.
(٣) ابن المأمون: السيرة المأمونية، مقدمة المحقق، ص٧.

- **كونه أديبًا**، فلعله أحب أن يطرق أبواب كتابة التاريخ، ويبرز ملكته فيه.
- **امتلاكه العديد من الوثائق** التي أمدته بالكثير من المعلومات، فحواها في كتابه.

زمن تدوين السيرة:

ابن المأمون لم يذكر لنا وقت تدوينه لهذه السيرة؛ لذا فالناظر في السيرة بما حوته من دقة في الوصف والاستغراق في التفاصيل وملاحظة دقائق الأمور يظن أن ابن المأمون دونها لحظة بلحظة وقت مشاهدته للأحداث (أي وقت وقوع الحدث)، إلا أنه بعد الدراسة والتدقيق لما ورد من أحداث في السيرة تبين بالأدلة وبما لا يدع مجالاً للشك أنها امتد تدوينها أو ربما دونت جميعها في العصر الأيوبي، ومن الأدلة على ذلك طبقًا لما جاء في السيرة:

- حديثه في ٥١٥هـ/١١٢١م عن سجل الأيمان الذي كتبه الخليفة الآمر لأبيه عقب موافقته على تولي الوزارة أنه كان من نسختين، وأن النسخة الأولى طلبها الآمر عقب القبض على أبيه في ٥١٩هـ/١١٢٥م، وأن النسخة الثانية كانت بحوزة ابن المأمون(١).
- قوله في تعريف باب البحر: "وهو الباب الذي يقابل المدرسة الكاملية الآن"(٢).

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٦.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٠.

- قوله عن القاضي جلال الملك[١] حينما أتى باسمه: ".. وهو يؤمئذ قاضي القضاة..[٢]"، والعبارة توضح أنه لم يكتب الحدث في حينه، وإنما بعده.
- حديثه عن أحداث عام ٥١٦هـ/١١٢٢م فيما يختص بمقدار النفقة على أسمطة[٣] شهر رمضان في أيام المأمون، وأنه تضاعف في أيام الآمر بعد مقتل المأمون، ثم تناقص ما ينفق في وزارة شاور عام ٥٦٣هـ/١١٦٧م[٤].
- حديثه في ٥١٧هـ/١١٢٣م عن أجرة السقائين التي استحدثها والده، وأنها استمرت إلى أيام الحافظ فعبر عن ذلك بقوله: "... استمر ذلك يُطلق لهم إلى الأيام الحافظية"[٥].
- وصفه للخليفة الحافظ بالمستبد، وذلك أثناء حديثه عن عام ٥١٨هـ/١١٢٤م[٦].

---

(١) جلال الملك: أبو الحجاج يوسف بن أيوب، ولاه المأمون البطائحي في وظيفة قاضي القضاة، عوضًا عن علي بن الرسعني."ابن ميسر: المنتقى، ص١٠٤، ١٠٥، السيوطي: حسن المحاضرة، ج٨، ص٩٧".

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٥.

(٣) أسمطة: السماط هو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين، ويُطلق في العادة على المائدة السلطانية. "حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص١١٩".

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٦.

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٧.

(٦) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٢.

- حديثه عن الطراز الذي يُشد على الصواني لتغطيتها، وأنها لم تجد لها سوقًا رائجة في العراق فعاد التُجار إلى مصر في ٥٨٦هـ/١١٩٠م. فقال: ".. وسافروا بها إلى البلاد، فلم يبع لهم منها سوى اثنين وعادوا بالبقية إلى الديار المصرية في سنة ست وثمانين وخمس مائة"(١)، وهذا التاريخ الذي ذكره ابن المأمون كان قبل وفاته بعامين.
- إذا ما صح ذلك من أنه دون السيرة بعد وقوع الحدث بفترة وليس في حينه أو دون بعضها أو جميعها في عصر الأيوبيين فيكون قد أدهشنا بتفاصيله ودقتها، وإحصاءاته، واستذكاره لما دار من أحداث قام بتسجيلها.

قيمة السيرة وأهميتها:

- تأتي أهمية السّير في أنها لا تقتصر على حفظ ذكر الرجال فقط، ولكنها تسجل في الوقت نفسه دقائق الحياة الاجتماعية لعصورهم، وكذلك تسجيل ملامح وأحداث حضارة كبرى بلغت إذ ذاك أوجها، كأنما شعر المؤرخون بضرورة تسجيل كل شيء من تلك الحضارة؛ لأن لكل شيء قيمته(٢)، وهذا ما ينطبق على سيرة ابن المأمون التي سجلت وحفظت تاريخ أبيه ومناقبه، إلى جانب تسجيلها مظاهر حضارة الفاطميين ورسومهم ونظمهم وغير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية.

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢٠.

(٢) شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون، ج١، ص٣٨٢، ٤٦٢.

- القيمة الحقيقية لهذه المؤلفات يجب أن يقَوّم في ضوء المعلومات التي تضمها، وما إذا كانت وصلتنا من مصادرها الأصلية مباشرة، وذلك لأن المصادر المباشرة تعرض للأحداث صورًا واقعية حية(١)، وتشكل عنصرًا من عناصر الموضوعية في الكتابة التاريخية، كما تجعل من صاحبها مؤرخًا دقيقًا في توثيقه للحدث التاريخي(٢)، وهذا ما ساد في سيرة ابن المأمون.
- تعد السيرة بمثابة تقويم هجري متقن، وذلك لذكره أغلب أحداثها باليوم والشهر والسنة.

- مع أن أصل الكتاب مفقود، ولم يصل إلى أيدي المؤرخين منه سوى نُسخ، إلا إنه يُعد كنزًا فيما يتعلق بالمعلومات والتفصيلات الدقيقة عن المراسم والاحتفالات والبلاط الفاطمي آنذاك، ويُدلل على حالة مصر آنذاك وما تضمنت من الثراء والترف، وهذه أمور محببة إلى الرعية، والسيرة في مجملها تعد توثيقًا لمظاهر ومراسم الاحتفالات والفاطمية منها بصفة خاصة؛ كعاشوراء، والمولد الآمري، وأيضًا اهتمت السيرة بمراسم التولية ومراسم الجنائز أيضًا.

عمل المحقق (نشرتا السيرة):

- قام الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد بتحقيق كتاب السيرة المأمونية لابن المأمون، وذلك بعدما أعاد بناءه، واستجمع نصوصه من كتب

(١) جان سوفاجيه/ كلودكاين: مصادر دراسة التاريخ، ص٥٩، ٦٠.
(٢) فاروق عمر فوزي: التدوين التاريخي، ص٧٥.

المؤرخين الذين سبق ذكرهم باعتمادهم على هذا الكتاب، وقد قام بنشره مرتين:

- الأولى: في ١٩٨٣م، وقد تولى نشرها: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.
- الثانية: في ٢٠١٤م، نشرتها: دار الكتب والوثائق القومية، وتتضمن زيادات عن الأولى.
- أما عن السبب وراء نشر هذا الكتاب مرتين، فيذكر المحقق أنه تعرض للنقد بعد النشرة الأولى في مقالة للباحث يوسف راغب، الذي أشار في مقالته إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها المحقق، وأن عليه الرجوع إلى مسودة وجُدت للمقريزي بكتابه المواعظ والاعتبار، وذكر المحقق أن الأخطاء بالنشرة الأولى ناجمة عن قراءات خاطئة نتجت عن اعتماده على نشرة بولاق المعيبة لكتاب المواعظ والاعتبار، فتدارك المحقق هذه الأخطاء في النشرة الثانية؛ باعتماده على مسودة لكتاب المقريزي كُتبت بخطه، بالإضافة إلى ما عُثر عليه من مقالات تتحدث عن منهج المقريزي، واستفادته من تاريخ ابن المأمون؛ ولذا أعاد المحقق نشر الكتاب مرة ثانية(١).

أخطاء التحقيق:

- وقد وقع المحقق في خطأ جسيم حينما تحدث عن مقتل الأفضل في ٥١٥هـ/١١٢١م، فأتى بجملة:"..ويُقال إن الآمر وافق المأمون

(١) ابن المأمون: السيرة المأمونية، مقدمة المحقق ص٢٦، ٢٧.

على قتله، فرتب له من قتله"[١]، على أنها ممن انتقاه لابن المأمون من عند المقريزي، والصحيح: أنها من قول المقريزي، إذ لا يُعقل أن يذكر ابن المأمون أن لأبيه صلة بمقتل الأفضل.

- ورد بالسيرة تقديم بعض الأحداث على غيرها في اختلال للترتيب الزمني، فقد جاء في ٥٠١هـ/١١٠٧م أن المأمون أثناء وزارته كان أول من قرر على الناس حفر الخليج، وكان الأولى أن يأت بهذا الخبر بعد حديثه عن تولي المأمون للوزارة في٥١٥هـ/١١٢١م[٢].
- كذلك جاء الحديث في ٥١٥هـ/١١٢١م عن عيد النحر والكسوة الخاصة به، ثم عقب ذلك جاء الحديث عن الجلوس لتلقي التهاني بعيد النحر ابتداءً من اليوم التاسع من ذي الحجة، وكان الأحرى، والتزامًا للترتيب الزمني والمنطقي أن يبدأ الحديث باليوم التاسع من ذي الحجة، ثم يأتي بعده الحديث عن عيد النحر الموافق للعاشر من ذي الحجة[٣].
- ومثله في عدم التزام الترتيب الزمني والمنطقي لذكر الأحداث، حديثه في ٥١٦هـ/١١٢٢م في شوال منها عن أمر المأمون بإنشاء دار الوكالة، ثم أتى بالحديث عن الكسوة المختصة بعيد الفطر والذي يُسمى بعيد الحُلل؛ لكثرة كسوته التي تفرق على أربابها، فلما انتهى من ذكر توزعة الكسوة على أربابها، عاد

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٢٩.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٠.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٣٨: ٣٩.

ليتحدث عن وصول الكسوة المختصة بغُرة شهر رمضان[1]. وكان الأولى التزام الترتيب الزمني بالحديث عن كسوة شهر رمضان، ثم كسوة العيد، ولعل سبب ذلك ليس ابن المأمون، بل ربما يرجع إلى عمل المحقق الجامع لسيرة ابن المأمون، فلم ينزل بعض ما جمعه من السيرة في مواضعه سهوًا، إذ يُستبعد على ابن المأمون بما له من دقة أن يقع في مثل هذا.

وصف السيرة في نشرتها النهائية:

- **اسم المؤلف:** الأمير جمال الملك موسى بن المأمون بن البطائحي المتوفى ٥٨٨هـ/١١٩٢م.
- **عنوان الكتاب:** السيرة المأمونية أو أخبار مصر ٥٠١-٥١٩ هـ.
- **أعاد بناءها وقدم لها:** أيمن فؤاد سيد.
- **الناشر:** دار الكتب والوثائق القومية – مركز تحقيق التراث.
- **تاريخ النشر:** ٢٠١٤م.
- **عدد صفحات الكتاب المحقق:** ٢٠٠ صفحة.

(المضمون والمحتوى):

دارت السيرة في عدة أفلاك، منها: الحديث عن المأمون البطائحي وبداياته، وتوليه الوزارة، وأيضًا تناولت السيرة جوانب من (الحياة السياسية)، و (الإدارية)، و (الاقتصادية)، و (الاجتماعية)، و (العلمية)، إلى جانب (الطرائف).

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٦٨: ٧٧.

(الحديث عن بدايات المأمون البطائحي وتوليه الوزارة):

- ذكر ابن المأمون أنه في ٥٠١هـ/١١٠٧م كان ابتداء أمر المأمون البطائحي وظهوره على مسرح الأحداث في الدولة الفاطمية، بدخوله في خدمة الأفضل، وذلك عوضًا عن تاج المعالي مختار الذي كان في خدمة الأفضل، والذى تغير خاطره عليه بعدما اصطنعه، وسلم إليه خزائن أمواله وكسواته، فسلم مختار لأخويه ما يتولاه، فحصل لهم من الإدلال على الأفضل ما حملهم على سرقة أمواله وذخائره، فقبض عليه وعلى إخوته، وألزم الأفضل المأمون بتسلم ما كان بيد مختار من الخدمة، فتصرف فيها، وقرر له الأفضل مائة دينار في كل شهر، وثلاثون دينارًا عن جاري الخزائن، مضافاً إلى الأصناف الراتبة مياومة ومشاهرة ومسانهة، وحسن عند الأفضل موقع خدمته، فسلم له جميع أموره، ولما كثر الشغل عليه استعان بأخويه أبي تراب حيدرة، وأبي الفضل جعفر، فأطلق لهما الأفضل ما وسع به عليهما، ونعت الأفضل المأمون بـ"القائد"(١).
- ثم تحدث ابن المأمون في ٥١٥هـ/١١٢١م أنه بعد مقتل الأفضل أرسل المأمون إلى الخليفة الآمر ليحضر، وخرج البطائحي للناس ليسكنهم، وصار إلى الآمر، فتحدث الآمر إلى أمرآئه قائلاً: "هذا وزيري قد صار إلى الله تعالى، ومنكم إليّ ومني إليكم، وقد كان القائد واسطته إليكم، وهو اليوم واسطتي إليكم"(٢)، ثم أحضر الآمر

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٣، ٤.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٢٣.

وزير الأفضل، والقائد المأمون وسألهما عن أموال الأفضل، فقال القائد: "أما السر فأعلمه، وأما الظاهر فالوزير يعلمه"، وأخبراه بمكانها، فلما اطلع عليها الخليفة الآمر شكر البطائحي، وقال: "..والله إنك المأمون حقًا مالك في هذا النعت شريك"(١).

- وتهيأت الأحوال لتولي المأمون الوزارة، فيذكر ابن المأمون أنه بعد موت الأفضل "شرف القائد .. المعروف بابن البطائحي بالوزارة، واستقرت نعوته في سجله المقروء على كافة الأمراء والأجناد بـ السيد الأجل المأمون تاج الخلافة وجيه الملك فخر الصنائع ذخر أمير المؤمنين"، ثم تجدد له فى النعوت بعد ذلك: "السيد الأجل المأمون تاج الخلافة عز الإسلام فخر الأنام نظام الدين والدعاة"، ثم نعت بـ : "السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الأنام كامل قضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين"، كما نعت بـ "نظام الوجود، خالصة أمير المؤمنين"، وكتب له سجل بنعوته وأوصافه(٢)، وقرىء السجل بهذا للمأمون على باب مجلس الخليفة، وكان أول سجل يقرأ هناك، إذ جرت العادة أن السجلات تقرأ بالإيوان(٣)، كما أصدر الآمر أوامره بنقل

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٢٦.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٣٥، وقد فاق الفاطميون نظراءهم العباسيين في اتخاذ الألقاب وإغداقها على رجال الدولة وخاصة الوزراء، ولقد كان التقليد المتبع أن هذه الألقاب تصبح جزءًا لا يتجزأ من اسم الوزير نفسه."المناوي: الوزارة، ص٦٣".

(٣) الإيوان: الصفة العظيمة، يشبه الأزج غير مسدود الوجه، وهو أعجمي، ومنه إيوان كسرى. "ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٤٠.

نسبة الأمراء والأستاذين المحنكين[١] من الآمر إلى المأمون، ولم يكن أحد قبل ذلك ينتسب إلى الأفضل ولا لأبيه من قبله، وإنما ينتسبون إلى الخليفة، فصاروا ينتسبون إلى المأمون[٢].

ويتحدث ابن المأمون أنه لما تولى المأمون نظر الدولة شكره الخليفة الآمر، فأعلمه المأمون أنه يحتاج أن ينفرد به ليحدثه، فلما خلا المجلس بهما قال للخليفة: "يا مولانا امتثال الأمر متعب، ومخالفته أصعب ... وما في قواي ما يرومه، ويكفيني هذا المقدار، وهيهات أن أقوم به والأمر كبير"، فتغير الخليفة وأقسم: "إن كان لي وزير غيرك!"، فقال المأمون: "لي شروط؟ وقد كنت مع الأفضل، وكان أولاده يكتبون إليه بكوني خنته في المال والأهل، وما كان والله ذلك مني يومًا قط، ومع ذلك معادة الأهل جميعهم والأجناد ... وهو يعطيني كل ورقة تصل إليه منهم وما يسمع كلامهم"، فقال الخليفة: "فإذا كان فعل الأفضل معك ما ذكرته، إيش يكون فعلي أنا؟"، فقال: "يعرفني المولى ما يأمر به فأمتثله بشرط ألا يكون عليه زائدا"، فذكر الخليفة أنه يريد أن تجبى الأموال بالقصر، وأن تصل الكسوات إلى القصر وتفرق منه، وأن تكون أسمطة الأعياد بالقصر، ويتم التوسع

(١) الأستاذون المحنكون: هم الخدم المقربون من الخليفة الذين يدورون العمائم على أحناكهم، ومتى ترشح أستاذ منهم للحنك وحُنك، حَمل إليه كل أستاذ من المحنكين بدلة كاملة، وسيفًا، وفرسًا. "القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، طبعة مصورة عن الخدوية، ص٤٨١".

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٣٣.

في رواتب القصور من كل صنف، وزيادة منديل الكم[١]، فأجاب المأمون على ما طلبه الخليفة بالسمع والطاعة، وقال المأمون: "أريد بهذا مسطورًا بخط أمير المؤمنين، ويقسم لي فيه ألا يلتفت لحاسد ولا مبغض، ومهما ذُكر عني يُطلعني عليه، ولا يأمر فيّ بأمر سرًا ولا جهرًا يكون فيه ذهاب نفسي وانحطاط قدري، وتكون هذه الأيمان باقية إلى وقت وفاتي، فإذا توفيت تكون لأولادي ولمن أخلفه بعدي"، ففعل الآمر ما طلبه المأمون[٢].

- وتحدث ابن المأمون في أحداث ٥١٦هـ/١١٢٢م، عن المأمون أنه كان يستقبل شهر ذي الحجة بالصيام، والصدقة على الفقراء والأيتام، كما كان كثير التصدق في يوم الجمعة، ورتب داره قارئين يتناوبان قراءة القرآن الكريم، ويصليان بمن في داره، وأمر لهما بالكساوى[٣]، وأُثر عنه أنه كان في كل جمعة يطلق للمقرئين بوجوده خمسة دنانير، ولكل من هو مستمر القراءة على بابه من الضعفاء والمكفوفين خمسمائة درهم[٤].

---

(١) منديل الكُم: لم يرد هذا المصطلح سوى عند ابن المأمون، ومن نقل عنه، وربما قصد به ما يُطلق عليه الآن "مصروف الجيب" والذي كان يمنح لبعض الأفراد ذوي المكانة، وكان يوضع في منديل في كُم الخِلعة. "المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، حاشية المحقق، ص٨٣".

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٣٥، ٣٦.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٨٠.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٨، ١٤٠.

- ذكر ابن المأمون في ٥١٨هـ/١١٢٤م، أوقات عمل الوزير وراحته، فتحدث أنه حين كان الخليفة يخرج للنزهة في يومي السبت والثلاثاء، فإن المأمون يركب من داره في هذين اليومين، فيتوجه إلى القصر لحفظ الأمور وإمضائها حتى عودة الخليفة(١)، ويجلس المأمون في يومي الأحد والأربعاء بداره على سبيل الراحة، ويقوم بتوزيع النفقة على العسكر حتى وقت الظهر، ثم يأمر بمد المائدة للناس، وبعد العصر يجلس وحوله الكتّاب إلى آخر النهار، فينفق فيهم جميعًا(٢)، وفي يومي الإثنين والخميس يتوجه المأمون إلى القصر للسلام على الخليفة، ولمباشرة عمله، وكان المأمون يُوقع على ما يصدر من قرارات، وكذلك على ما يفرق من أموال وكسوات، فيخرج توقيعه على كل هذا قبل إطلاقه(٣)، فأما الجمعة فأحيانًا يركب فيها المأمون متوجهًا إلى القرافة(٤).

(الجوانب السياسية):

يسترعي النظر في السيرة أن ابن المأمون لم يهتم كثيرًا للأحداث السياسية، على الرغم من أهميتها آنذاك، خاصة ما كان منها يتعلق بالسياسة الخارجية مع كل من الصليبيين والفرنج، لكنه صب اهتمامه على الجوانب الاجتماعية خاصة الاحتفالات، وكذلك

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٤٠.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٦٥.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٣٢.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص٦٥.

اهتم بذكر مناقب أبيه وما استحدثه من نظم ورسوم، ولعل ذلك راجع إلى أنه كان من صميم عمل أبيه، وما طالعه ابن المأمون وشاهده بنفسه، وما يتواءم وشخصيته من حيث كونه أديبًا، فلم تستمله الأحداث السياسية بقدر استمالته لتسجيل الأحداث الاجتماعية عامة، والاحتفالات خاصة، فأورد من السياسة ما يلي:

- ذكر أنه في ٥٠١هـ/١١٠٧م جاءت الأخبار بأن متملك النوبة جهز عساكره يريد قصد البلاد القبلية، فسير الأفضل عسكره إلى والي قوص(١)، وأمره بالمسير إلى البلاد النوبية، وحدث أثناء ذلك أن وثب أخو ملك النوبة عليه وقتله، واشتدت الفتنة حتى أُبيد فيها أهل بيت المملكة، وأُجلس صبي في الملك، فاستجارت أمه بعفو الأفضل، وألا يغزوهم، فأمر الأفضل والي قوص أن يسير إليهم يجدد عليهم ما يدفعونه في كل عام، وهو في كل سنة ثلاث مائة وستون رأسًا رقيقًا، بعد أن يستخلص منهم ما يجب عليهم في السنين الماضية، فلما دخل إليهم دخلوا تحت طاعته(٢).

(١) قوص: قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يومًا، وأهلها أرباب ثروة، وهي محط التجار القادمين من عدن، شديدة الحر؛ لقربها من البلاد الجنوبية، وفي أيام الحكم العثماني اندمجت قوص في ولاية جرجا. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤١٣، محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ج٤، ص١٨٩".

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٢.

- وقال إنه في ٥٠٩هـ/١١١٥م أغار بلدوين[١] ملك الفرنج على الفرما[٢]، وحاصرها، وقتل جميع من بها، فأرسل الأفضل جيوشه للتصدي له، فلما علم بلدوين بذلك، عمل على تخريب الفرما، وأحرق جامعها ومساجدها ، ثم رحل عنها، فمرض في الطريق ومات[٣].
- ومن بين الأحداث السياسية التي تعرض لها ابن المأمون في السيرة، تصدي الخليفة الآمر مع وزيره المأمون لطائفة النزارية، وذلك حينما حاول النزارية نشر دعوتهم في ٥١٦هـ/١١٢٢م وأحقيتهم بالإمامة عن طريق مجموعة من التجار أعطوهم الأموال يعطوها لأقوام في مصر، فلما علم المأمون بذلك اتخذ تدابيره لمواجهة هذا الأمر، فجد في طلب التجار حتى تم إلقاء القبض عليهم، كما أنه جمع فقهاء الإسماعيلية والإمامية ليتولوا الرد على النزارية بأنه لم يكن لنزار إمامة، وأن من اعتقد هذا فقد وجب

(١) بلدوين: ملك الفرنج، استطاع الاستيلاء على القدس، وأصيب بجرح غائر خلال معركة طبرية، فمات في ٥٠٨هـ/١١١٤م، وقيل: بل توفي بعد ذلك. "الذهبي: تاريخ الإسلام، م١١، ص١١١".

(٢) الفرما: هي مدينة من أقدم الرباطات المصرية بقرب الحدود المصرية على الساحل، وقد اندثرت هذه المدينة، وتعرف آثارها بتل الفرما على بُعد ٢٣ كيلو متر شرقي محطة الطينة الواقعة على السكة الحديدية التي بين بورسعيد والاسماعيلية. "محمد رمزي: القاموس الجغرافي، القسم الأول، البلاد المندرسة، ص٩١، ٩٢".

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٥.

قتله، وأمر ابن الصيرفي الكاتب بإنشاء سجل يقرأ على منبر مصر بذلك(١).

- ذكر أنه في ٥١٧هـ/١١٢٣م ثارت قبيلة لواته(٢) القادمة من المغرب إلى الإسكندرية، وعاثوا فسادًا في البلاد، فاستدعى المأمون أخاه المؤتمن لقتالهم، فغلبهم، وقتل كثيرًا منهم، وغنم خيولهم وأموالهم(٣).
- تحدث ابن المأمون أنه في ٥١٧هـ/١١٢٣م حارب الأسطول المصري أسطول البنادقة بعدما هاجمت مراكبه ثغر الإسكندرية، وكانت الغلبة لأسطول البنادقة، ومع ذلك فقد أخذ المصريون منهم بعض الأسرى، وبعض قطع من أسطولهم(٤).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٧٨، ٧٩.

(٢) لواته: من ولد كنعان بن حام بن نوح، ثم من ولد بربر الذي أتى إلى فلسطين، فتزوج امرأة من العماليق، وولدت له لواته ومزانه، ويقال: إنهم من القبط، ولواته بها عدة بطون كبني بلار وبني مجدول. "المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب. تحقيق: عبد النعيم حنفي عثمان، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٠١، ١٠٣"، وهم بطن عظيم من بطون البرير البتر ينتسبون إلى لو الأصفر، والبربر إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف والتاء، فصار لوات، فلما عربته العرب حملوه على الإفراد وألحقوا به هاء الجمع. "ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١٥٢".

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٠.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٠

- حديثه في ٥١٧هـ/١١٢٣م عن وصول رسل من عند كل من ظهير الدين طغتكين[١] صاحب دمشق، وآق سنقر[٢] صاحب حلب بكتب إلى الخليفة الآمر مضمونها الحث على التجهيز لمحاربة الفرنج بالثغور الشامية، حيث إن الفرصة مواتية لذلك بسبب قلة عدد الفرنج آنذاك، وذكر ابن المأمون استجابة الخليفة والوزير لهذا الأمر، وعلى الفور تم الاستعداد بتجهيز الجيش وإنفاق النفقات عليه، وندب الفرسان والأطباء والمؤذنين والقراء صحبة هذا الجيش، فلما حان وقت تحرك الجيش خرج الخليفة لوداعه[٣].

(الجوانب الإدارية):

ومن الجوانب الإدارية التي تناولها ابن المأمون في السيرة:

(١) ظهير الدين طغتكين: كان من أمراء تتش السلجوقي بدمشق، ثم صار أتابكه، ثم تملك دمشق، وكان شهمًا، مهيبًا مدبرًا، سائسًا، جاهد ضد الفرنج، توفي في ٥٢٢هـ/١١٢٨م. "الذهبي: العبر، ج٤، ص٥١".

(٢) آق سنقر البيرسقي: صاحب الموصل وحلب، كان عادلاً، لين الأخلاق، حسن العشرة، قُتل في ٥٢٠هـ/١١٢٦م. "أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص١١٤".

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٢: ١٠٤.

- ذكر ابن المأمون أن الأفضل جدد ديوانًا، وسماه ديوان التحقيق(١)، وأضيف إليه ديوان المجلس(٢)، وذلك فى ٥٠١هـ/١١٠٧م(٣).
- ذكر أنه في ٥٠١هـ/١١٠٧م كثرت شكاوى الجند والعسكر بسبب إقطاعاتهم، من أنها قل ارتفاعها، وخربت، وأن الإقطاعات التي بيد الأمراء زائدة عن الارتفاع، فأحضر الأفضل وزيره البطائحي، واستشاره فيما يفعل، فأشار عليه بحل الإقطاعات التي بيد الأمراء وغيرهم، وأعيد توزيعها(٤).
- وفى ٥٠١هـ/١١٠٧م نقلت السنة الشمسية إلى العربية(٥)، وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين، فوافق الأفضل على نقلها،

---

(١) ديوان التحقيق: موضوعه: المقابلة على الدواوين، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير، وله وحاجب بين يديه، ويُفتقر إليه في كثير من الأوقات."القلقشندي: صبح الأعشى، طبعة مصورة عن الخدوية، ج٣، ص٤٩٣".

(٢) ديوان المجلس: أصل الدواوين، وصاحبه هو المتحدث في الإقطاعات، ويُنشأ له سجل بذلك، وله دواة تُخرج له من خزانة الخليفة، وحاجب بين يديه، وقد تفرق هذا الديوان بعد ذلك إلى عدة دواوين، كالوزارة ونظر الخاص والجيش وغيرها."القلقشندي: صبح الأعشى، طبعة مصورة عن الخدوية، ج٣، ص٤٩٣، ٤٩٤".

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٠، ١١.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١٠، ١١.

(٥) السنة الشمسية والقمرية: لما حدث تداخل السنين القمرية في السنين الشمسية، أُسقط عند رأس كل اثنين وثلاثين سنة قمرية سنة، وسموا ذلك الأزدلاق؛ لأن كل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب، وذلك يحدث بسبب تأخير الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة أحد عشر يومًا وربع يوم، وزيادة الكسر عليه، وهذا كله مرتبط بالخراج، فالسنة الخراجية مركبة على حكم ==

فكانت سنة إحدى وخمسمائة الهلالية وسنة سبع وتسعين وأربعمائة الخراجية، فنقلت إلى سنة إحدى وخمسمائة(١).

- وكان المأمون البطائحي أول من قرر على الناس حفر الخليج في ٥٠١هـ/١١٠٧م، وجعل لذلك واليًا يباشره، ويكون مسئولاً عنه، وعن العمال به والفعلة(٢).
- وفي ٥١٠هـ/١١١٦م ذكر ابن المأمون أنه قد تولى ذخيرة الملك جعفر(٣) ولاية القاهرة، ونظر الحسبة، فظلم وعسف، وهو الذي بنى المسجد المعروف بالذخيرة، ومسجد "لا بالله"، وسبب تسميته بذلك أنه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم، فيقولون له: "لا بالله"، فيقيدهم ويستعملهم فيه بدون أجرة، وقيل: لم يعمل فيه صانع إلا وهو مكره مقيد، فابتلى الله ذخيرة الملك بالأمراض، ولما مات تجنب الناس الصلاة عليه وتشييعه(٤).

==

السنة الشمسية. "ابن مماتي، أسعد بن المهذب: قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، مكتبة مدبولي، مصر، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٣٥٨، المقريزي: المواعظ والاعتبار، م١، ص٧٤٠: ٧٤٧".

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٤، ٥.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٠.

(٣) ذخيرة الملك جعفر بن علوان، ولاه الآمر بأحكام الله ولاية القاهرة والحسبة في ٥١٢هـ/١١١٨م، وذُكر عنه أنه كان ظلومًا، عسوفًا، خرج عن الحد في معاقبة الجناة وأهل الفساد، ثم أصيب بعدة أمراض توفي على أثرها بعد عام ٥١٢هـ/١١١٨م."المقريزي: المقفى الكبير، ج٣، ص٣٩".

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١٦، ١٧.

- وذكر المؤرخ فى ٥١٥هـ/ ١١٢١م، أنه أثناء وزارة المأمون لما تم نقل حساب السنة الهلالية إلى الخراجية، وكثر المتحصل من الناس، أمر المأمون البطائحي بكتابة سجل مضمونه مسامحة الناس ببواقي الخراج عند نقل السنة من الهلالية إلى الخراجية(١).
- تحدث ابن المأمون في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن العديد من الوظائف التي كانت سائدة عند الفاطميين، وسرد أسماء أصحابها وأسماء آبائهم وإخوانهم(٢)، وهم وإن جاء الحديث عنهم عرضًا أثناء الحديث عن كسوة العيد وأنها تشملهم، إلا أن ذلك كان فيه حفظ وتوثيق لأرباب تلك الوظائف.
- وفقًا لما جاء بالسيرة، لم يقتصر القرب من قبل الخليفة على وزيره فقط، بل تعداه إلى أخيه أبي تراب حيدرة، فقلده الخليفة الآمر على ولاية الإسكندرية في ٥١٧هـ/١١٢٣م(٣).
- ومن مراقبة المأمون للعمال جاء في السيرة أنه أمر في ٥١٧هـ/١١٢٣م بأن يعلمه الولاة في أول كل شهر بمن حوته سجونهم، وما السبب وراء اعتقال المسجون؟، وكان الدافع بالمأمون إلى طلب ذلك ما بلغه من أن أحد الولاة يعتقل من لا يستحق لطلب الرشوة(٤).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٤١.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٤١.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٩٩، ١٠٠.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١١٧.

- ذكر المؤرخ أن المأمون البطائحي أمر في ٥١٧هـ/١١٢٣م بنقل المناخ(١) وهو: موقع الرصد، من الجبل المطل على جامع راشدة، بحكم أن عهده قدُم، وتغيرت حركاته، فنقل على علو باب النصر(٢)، وأحضر له شيوخ المنجمين والفلكية، وكمُل الرصد(٣).
- كذلك تحدث ابن المأمون في ٥١٨هـ/١١٢٤م، عن الحبس الجيوشي(٤)، موضحًا أن جميع البساتين المختصة بالورثة الجيوشية مدة وزارة المأمون، فلما كانت خلافة الحافظ، أخذها من الورثة، وضمها إلى أملاك الديوان الحافظي(٥).
- وقد عمل الآمر آنذاك على الإحسان إلى الرعية، وكان معظمًا، كثير الجود، فكثر الخير في أيامه، إلا أن هذا الرخاء لم يدم، فذكر ابن المأمون أنه عقب مقتل المأمون، مكّن الآمر أحد الرهبان

(١) المناخ: مكان نزل فيه جوهر الصقلي لما دخل مصر، ثم أسكن به المغاربة، وعمل به المأمون البطائحي عدة طواحين. "ابن عبد الظاهر: الروضة، ص١١٧".

(٢) باب النصر: هو الباب الذي من جهة أرض الطبالة بالقاهرة. "ابن عبد الظاهر: الروضة، ص١١٧".

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١١٥، ١١٦.

(٤) الأحباس الجيوشية: كانت بالبرين الشرقي والغربي، حبسها أمير الجيوش بدر المستنصري على عقبه لما كان وزيرًا بالديار المصرية، ثم أفتى الفقهاء بأن الحبس باطل، فصار مالها يُحمل إلى بيت المال، فيُنفق في مصالح المسلمين." ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٣٦، ٣٣٩".

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص١٤١، ١٤٢.

ويُدعى نجاح بن قنا[١] من الدواوين، فأكثر هذا الراهب من المصادرات في حق الكتاب، والعمال، والتجار، وأصحاب الأموال، فحنق الناس عليه، وذلك في ٥٢٠هـ/١١٢٦م وما تلاها، وارتفعت فيه الشكاوى إلى الآمر، فلما تحقق من ذلك أمر بقتله في ٥٢٣هـ/١١٢٩م[٢].

(الجوانب الاقتصادية والمالية):

ورد بالسيرة الحديث عن بعض الجوانب الاقتصادية والمالية، ومما ورد:

- تحدثت السيرة عن فتح خليج أبي المنجا[٣]، وذلك لما تضرر المزارعون من عدم وصول الماء إلى أراضيهم التي في الناحية الشرقية، فسأل الناس في فتح ترعة يصل الماء فيها، فابتدأ في حفر خليج أبي المنجا وفُتح في ٥٠٦هـ/١١١٢م[٤].

---

(١) نجاح بن قنا: كان يخدم ولي الدولة أبا البركات بن يحنا بن أبي الليث، ثم اتصل بالخليفة الآمر، وبذل له في مصادرة قوم من النصارى مائة ألف دينار، فأطلق يده فيهم، حتى زاد من مصادرة الناس، فرفعت فيه الشكاوى، فقتل في ٥٢٣هـ/١١٢٩م على يد المقداد الوالي بمصر."الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص٨٩".

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١١٢: ١١٥.

(٣) خليج أبي منجا: بدأ حفره في ٥٠٦هـ/١١١٢م حينما تضرر بعض المزارعين أصحاب الأراضي فى المنطقة الشرقية من عدم وصول الماء إلى أراضيهم، فكلف الوزير الأفضل يهوديًا يسمى أبا المنجا بفتح ترعة يصل الماء منها إلى تلك الأراضي، فلما حفره عرف باسمه ونسب إليه. "المقريزي: المواعظ، م٢، ص٥٨٤".

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١٣، ١٤.

- وذكر المؤرخ أنه مما أمر المأمون ببنائه في ٥١٦هـ/١١٢٢م دار ضرب العملة بالقاهرة، وكذلك أمر ببناء دار للضرب في قوص، وأصدر أمره ببناء دار وكالة بالقاهرة لمن يصل من العراق والشام من التجار، فبنيت(١).
- تناول ابن المأمون بالذكر النواحي المالية ممثلة في مقدار النفقات على بعض الوجوه، منها ما ذكره في ٥١٦هـ/١١٢٢م، حيث قُدر المنفق على أسمطة شهر رمضان حتى الليلة التاسعة والعشرين منه بتسعة وعشرين قنطارًا سكرًا، وثمانية وخمسين دينارًا، وذكر المنفق برسم الحاشية والأمراء، وصدقات الأقوات، والفطرة، والكسوات المختصة بالغُرة والعيد نيف وستون ألف دينار، وقال أن هذا على سبيل التقدير(٢).
- كذلك تحدث في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن ما كان يُضرب برسم خميس العدس(٣) من دنانير الذهب، فقدر ما يضرب له بخمس

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٦٧.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٦٥.

(٣) خميس العدس: من أعياد النصارى، ويسمى أيضًا خميس العهد، يُعمل قبل عيد الفصح بثلاثة أيام، يملؤن إناء فيه ماء، يغسل منه للتبرك به سائر رجال النصارى، ويزعمون أن المسيح فعل هذا تواضعًا، ويسمى بذلك؛ لأن النصارى يطبخون فيه العدس المصفى، "ابن إياس، محمد بن أحمد: نزهة الأمم في العجائب والحكم. تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٣٨، ٢٣٩".

مائة دينار، هذا المقدر كان في الماضي، فأمر المأمون أن يطلق ألف دينار خاصة بخميس العدس-العهد-[١].

- أثبت ابن المأمون في السيرة ضمن أحداث ٥١٧هـ/١١٢٣م أن مقدار نفقات الدولة على مدار العام تحمل كلها في بداية العام سواء كان المقدر عيناً أم نقدًا إلى الخليفة، فيحضر كل من المستخدمين في الدواوين ما يتعلق بديوانه من المطالعات ليأخذ المُقدر له مما يحتاج إليه طول السنة، ويُحمل إلى الحرمين الشريفين ما هو مقدر له، وكذلك يُحمل إلى الثغور من سائر الأصناف[٢]، واستدل على قوله هذا بروزنامج[٣] عُرض على الخليفة بما ينفق من بيت المال في مدة أولها محرم، وآخرها نهاية ذي الحجة وكان ذلك في ٥١٧هـ/١١٢٣م، وذكر جميع الأوجه المنفق فيها هذه النفقات، وقد ذكر من ضمن هذه النفقات ما قُرر للوزارة من مال، والمقدر بثلاثة آلاف دينار شهريًا[٤].
- جاء ابن المأمون بحديث مطول في ٥١٧هـ/١١٢٣م عن الفستق وغلو ثمنه وقلة توافره، وشكوى مستخدميه من ذلك، وأخبر أن

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٧.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٩٧.

(٣) روزنامج: هو كتاب يثبت فيه ما يجرى من نفقة أو استخراج. "السيوطي: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم. تحقيق. محمد إبراهيم عباد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص١٥٧".

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١٢١: ١٢٢.

الأمر فيه قد رفع إلى الخليفة[١]، لكن دون أن يعلمنا ما الإجراءات التى تبناها الخليفة حيال نقص الفستق وارتفاع ثمنه.

- ذكر ابن المأمون في ٥١٧هـ/١١٢٣م أسماء بعض الدور بما تحويه من أصناف وعمل تلك الدور، وبدأ بذكر دار التعبئة؛ وهي المسئولة عن تعبئة احتياجات القصور، ودار الوزارة، وتعبئة المناظر، والحمامات، وتعبئة ما هو برسم خزانة الكسوة، وقد قدر ما تتولى هذه الدار تجهيزه وتوفيره وتعبئته للجهات المختلفة بعشرة دنانير في كل يوم[٢].
- خزانة الأدم: ذكر ابن المأمون في ٥١٧هـ/١١٢٣م أنها مسئولة عن صنع الأحذية، وإخراج ثمانين زوجًا منه كل شهر لدور الخلافة ومن فيها، وكذلك دار الوزارة[٣].
- كذلك أتى بذكر الغلال من أين تأتي ولِمن تُصرف، فذكر في ٥١٧هـ/١١٢٣م أن غلال الديوان تأتي من الوجه القبلي وتقدر في السنة بألفي إردب، أما عن الغلال الآتية من الأعمال البحرية والبحيرة فإنها تحمل إلى الإسكندرية وتنيس ودمياط ومنها إلى ثغري صور وعسقلان، وما يتبقى من تلك الغلال عند الاكتفاء فإنه يتم بيعه[٤].

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٢٧: ١٢٩.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٣٠.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٣٠.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١٣١.

(الجوانب الاجتماعية):

ومن الجوانب الاجتماعية التي تحدث عنها ابن المأمون في السيرة:

- تحدث أن المأمون في ٥١٠هـ/١١١٦م أوجد ما يعرف بـ"الظروف" في مجلس العطايا؛ وذلك أن المجلس الذي كان يجلس فيه الأفضل بدار الملك(١) كان يُسمى "مجلس العطايا"، فقال المأمون: "مجلس يُدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل!" وأمر بتفصيل ثمانية ظروف، وجعل فيها خمسة وثلاثين ألف دينار، يوزع منها على الشعراء، والسائلين، والمتعففين عن السؤال، وفقهاء مصر، وفقراءها(٢).
- وذكر ابن المأمون أنه قد جرت العادة من أيام الوزير الأفضل بإغلاق قاعات الخمارين في آخر جمادى الآخرة من كل سنة، فلما كانت وزارة المأمون البطائحي، فقد أمر في ٥١٦هـ/١١٢٢م أن يتم إغلاقها على الدوام في مصر كلها، وحذر أن من باع شيئًا من الخمر فإنه يعرض نفسه للهلاك(٣).
- ولرفع الظلم عن المظلوم، جاء في السيرة أن الوزير ابتكر في ٥١٦هـ/١١٢٢م استعمال حبل فيه ثلاثة جلاجل يدلى من سور داره، فإذا قُضى منتصف الليل دل الحبل، وعلى هذا المكان

(١) دار الملك: بدأ الأفضل بإنشائها في ٥٠١هـ/١١٠٧م، فلما كملت تحول إليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحول إليها الدواوين من القصر، وجعل فيها الأسمطة. "المقريزي: المواعظ، ص٥٧٣".

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٨، ١٩.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٤٩.

جماعة من المغاربة، فمن حضر بمظلمته، وضع رقعته وحرك الحبل بيده فتُصدر الجلاجل أصواتها، فيرفع الحبل لأخذ الظلامة، وكان الغرض من استحداث تلك الفكرة أن من حدث به ضرر من أهل الستر، أو كانت مرأة ولا تحب أن تظهر، أو كانت مظلمة في الليل تتعجل مضرتها قبل النهار، فليُحكم في مظلمته وقتها(١).

- وذكر المؤرخ أنه لما بلغ الوزير في ٥١٧هـ/١١٢٣م بأن أحد التجار استأجر قاعة ليقيم فيها عرس ابنته، وأن ملاك الدار صعدوا على سورها، واطلعوا على العروس والنساء، غضب لذلك، وأمر بإحضار ملاك قاعات الأفراح، وأمرهم بإزالة ما من شأنه إطلاعهم على الناس ويحول دون الستر، ومن لا يفعل ذلك فلا يؤجر قاعته(٢).
- وورد في السيرة أن المأمون أصدر أمره في ٥١٧هـ/١١٢٣م بأن يُصرف دينار للسقائين الذين يقومون برش الماء في اليومين اللذين يركب فيهما الخليفة، وذلك بعدما بلغه أن والي القاهرة ومصر يأخذان جميع السقائين لرش الماء سُخرة دون أجرة(٣).
- وفي ٥١٧هـ/١١٢٣م ذكر ابن المأمون أنه مع اقتراب شهر رمضان أصدر الخليفة الآمر سجلاً بمسامحة أرباب الحوانيت والحمامات والمعاصر والطواحين بالقاهرة ومصر عن أجرة شهر

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٨٠.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ١١٧.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١١٧، ١١٨.

رمضان؛ تعظيمًا لحرمة الشهر، وتقربًا بالأعمال الصالحة فيه إلى الله[١].

(مراسم الاحتفالات):

ومراسم الفاطميين في الاحتفالات هي ما استحوذت على القسم الأكبر من سيرة ابن المأمون، وتعددت الاحتفالات التى ذُكرت ما بين احتفالات عامة، واحتفالات خاصة بالفاطميين ومذهبهم، وقد ذكر ابن المأمون أن المأمون البطائحي أعاد في ٥١٦هـ/١١٢٢م الاحتفال بالموالد الأربعة التي أبطلها الأفضل من قبل وهي: المولد النبوي، والعلوي، والفاطمي، ومولد الإمام[٢].

ومن الاحتفالات التي تناول ابن المأمون الحديث عنها:

- تحدث ابن المأمون عن الاحتفال بيوم عاشوراء والسماط المختص به، وأنواع الطعام الذي يُقدم فيه[٣]، وقد ذكره فى ثلاثة مواضع من سيرته، في أحداث ٥١٥هـ/١١٢١م، و٥١٦هـ/١١٢٢م، والسنة التي تليها.
- وتكلم ابن المأمون عن عيد النحر، متحدثًا فيه عن الكسوة التي تصنع بهذه المناسبة، ولمن تصنع، ومقدار التكلفة المرصودة لها، كما تكلم عن الذبائح، وعدد ما يُذبح فيه في كل يوم، ولم يغفل ذكر نوع الذبائح من نوق، وبقر، وجاموس، وتناول بالحديث ما يذبحه

(١) ابن المأمون: السيرة، ١٠٩، ١١٠.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٥، ١٠٦.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٣٨.

الخليفة بنفسه، وتناول أيضًا مراسم استقبال هذا العيد والتى تبدأ في التاسع من ذي الحجة بجلوس الوزير لتلقي التهانى بالعيد المذكور، ثم ما يفرق فيه من الكسوة، ومراسم موكب الخليفة فيه، والصلاة والخطبة، ثم الذبح ومد الأسمطة(١)، وقد تناول الحديث عن عيد النحر في موضعين، في ٥١٥هـ/١١٢١م والتى تليها.

- ومن الاحتفالات الفاطمية، الاحتفال بمولد الإمام (الآمري)، ذكره ابن المأمون مرتين في أحداث ٥١٥هـ/١١٢١م، و٥١٦هـ/١١٢٢م، وهو في اليوم الثاني عشر من المحرم، وتكلم فيه ابن المأمون عما يُعمل فيه من الحلوى التى توزع على الأضرحة، وكذلك عن الحضور لهذا الاحتفال كالقاضي، والداعي، والشهود، والقراء، وما يفرق مما حوته الصوانى على دار الوزارة، والقاضي، والداعي، والمقرئين(٢).
- الاحتفال بليالي الوقود، وهي أربعة ليالي: أول رجب، ومنتصفه، وأول شعبان، ومنتصفه، ذكرها ابن المأمون في موضعين، في ٥١٦هـ/١١٢٢م وما يليها، وذكر ما تمد فيها من أسمطة بين يدي الخليفة والوزير، ومن جرت عادته بحضور هذا الاحتفال، وذكر أن الخليفة يركب فى هذه الليالي الأربعة ويتم التوسعة للمساجد والجوامع في المقرر لهم من الزيت اللازم للوقود، وكذلك الشمع، وتصنع الحلوى بأصنافها(٣).

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٣٨، ٣٩.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٤٨، ٤٩.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٤٩، ٥٠.

- أما الاحتفال بقدوم شهر رمضان فقد تحدث عنه ضمن أحداث ٥١٦هـ/١١٢٢م، فيتم التجهيز له في آخر العشر الثاني من شعبان، إذ تحضر أصناف الطعام المختلفة من الغنم والحيوان، وكذلك الأشربة، وأيضًا أوانى الطهي والشراب، ويُعد من ذلك ما هو للفطور، وكذلك للسحور، إلى جانب تجهيز ما يتم إطلاقه للفقراء، والضعفاء، والمساكين، ثم تحدث ابن المأمون عن كسوة رمضان والمختصة بأوله وأول جمعتين منه، وثياب الخليفة منها، وكذلك ثياب أخيه، وثياب الوزير(١).
- وتناول في ٥١٦هـ/١١٢٢م الحديث عن مراسم مد الأسمطة للفطار والسحور من حيث: الاستفتاح بقراءة القرآن، ثم آذان المؤذنين، ثم الوعاظ الذين يتحدثون عن فضائل الشهر الكريم، ثم تناول الطعام، ومناولة الحضور منه، وهكذا يُفعل كل يوم إلى اليوم التاسع والعشرين من رمضان، أما اليوم الأخير من الشهر فلا تجري فيه هذه الرسوم، بل يبدو فيه إظهار الحزن على انصرام الشهر(٢).
- أما عيد الفطر، فقد استفاض ابن المأمون في وصف مراسمه من عام ٥١٦هـ/١١٢٢م، حيث تناول فيه الحديث عن تجهيز الموكب الخاص بالخليفة والوزير، ثم عرض الخيل واختياره منها ما شاء، ويعقب ذلك مد سماط الفطور، وضرب الطبول ابتهاجًا، ثم التوجه إلى مصلى العيد بعد تجهيزه وفرشه، ثم استفتاح

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٥٢، ٥٣.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٥٤.

الصلاة، واعتلاء الخليفة المنبر للخطبة، فإذا ما انتهت مراسم صلاة العيد مضى موكب الخليفة إلى تربة آبائه وأجداده، ويفرق الصدقات، ثم يعود إلى القصر حيث الأسمطة المختصة بالعيد، كل هذه المظاهر تتم بصحبة الوزير، والقاضي، والشهود، والأمراء، وغيرهم مما جرت عادته بالحضور، ثم يتناوب القراء، والمنشدون، والشعراء على طبقاتهم، وتفرق عليهم الجوائز(١).

- وكان لعيد الغدير من سيرة ابن المأمون نصيب، حيث أشار إليه إشارة عابرة في أحداث ٥١٥هـ/١١٢١م ثم فصل فيه القول حين إعادة ذكره في أحداث ٥١٦هـ/١١٢٢م، فتناول بالذكر الكسوة الخاصة به والتي تحمل إلى الخليفة والوزير والعساكر من فارس وراجل، وتوزع الهبات في هذا العيد على أربابها، ويتم التكبير والصلاة والخطبة في هذا العيد كما في عيد النحر، فلما ينقضي الذبح يتوجه الخليفة بالموكب المرافق إلى القصر، وتمد الأسمطة ويستفتح المقرئون، ويحضر الناس للتهنئة وتفرق الصدقات على الضعفاء والمساكين، ويتم فيه تزويج الأيتام، وكذلك يتم وصل الشعراء(٢).
- ثم يأتي الاحتفال بموسم فتح الخليج، وذلك عند بلوغ منسوب النيل ستة عشر ذراعًا، فذكر ابن المأمون كسوة موسم الخليج، وما يختص منها للخليفة وأخيه، وكذلك ما يختص بالوزير، وكذلك

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٥٦: ٦٤.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٨٢: ٨٤.

الخلع التي تخلع على ابن أبى الرداد[١] المسئول عن المقياس، وقيمة المنفق على هذه الكسوة[٢]، ثم تحدث عن خروج موكب الخليفة لهذا الاحتفال، وسكناه في منظرة اللؤلؤة المطلة على الخليج، يحوطها الحُراس والخدم، ويتم التوسعة في النفقات المختصة بالأصناف التى تمد على الأسمطة، ثم يذكر تحرك موكب الخليفة إلى المقياس وتخليقه بالطيب، والناس تحيط الخليفة بنظرها أثناء مشاهدتها لموكبه، فإذا ما انقضى الموكب يذهب الخليفة إلى منظرة السكرة، وقد فرشت وملئت من خيرات الطعام والشراب؛ وتُمد الأسمطة، وتفرق الإنعامات، ثم يعود الخليفة إلى قصره بعد الفراغ من الاحتفال، ويحيط به موكبه أيضًا[٣]، وقد ذكر الاحتفال بموسم الخليج فى سيرة ابن المأمون ثلاثًا، ضمن أحداث ٥١٦هـ/١١٢٢م وحتى ٥١٨هـ/١١٢٤م.

- ذكر ابن المأمون الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مرة واحدة ضمن أحداث عام ٥١٧هـ/١١٢٣م، والذي يبدأ من مستهل ربيع الأول حتى ليلة عشر منه، وتكلم عما يُطلق فيه من صدقات تقدر بستة آلاف درهم، وكذلك ما يُطلق من أصناف عينية تشتمل على

(١) آل الرداد: أسند إلى تلك الأسرة ولاية المقياس، وذلك حينما ورد أمر المتوكل إلى القاضي بكار بن قتيبة أن لا يتولى أمر المقياس إلا مسلم تختاره، فاختار أبو الرداد عبد الله بن عبد السلام المؤدب، وأجرى عليه الرزق، فكان شيخًا مُحدثًا، فولي المقياس في ٢٤٧هـ/٨٦١م، ثم توارث أولاده الولاية عليه."ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٧٥، ٧٦، أبو شامة: الروضتين، دار الكتب، ق١، ص١٢، ١٣".

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٨٩: ٩٠.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٣٢: ١٣٩.

الخبز والحلوى، وتوزع على المشاهد الشريفة التى بها أعضاء آل رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم)(١).

- أيضًا من الأعياد التي ذكرها ابن المأمون مرة واحدة؛ عيد الغطاس، ذكره ضمن أحداث ٥١٧هـ/١١٢٣م، واقتصر في الحديث عنه عما يُفرق فيه من أصناف الليمون، والقصب، والسمك البوري، لأرباب السيوف، والأقلام، بحسب المقرر لكل منهم(٢).
- وتحدث ابن المأمون عن عيد النوروز، وموعده في التاسع من رجب، وذكره مرة واحدة أيضًا في أحداث ٥١٧هـ/١١٢٣م، تناول فيه الحديث عن كسوته المختصة به، والتي تصل من الإسكندرية، كما تحدث عن أصناف الفواكه به من بطيخ، ورمان، وموز، وتمر، وما يُطبخ فيه كالهريسة بلحم الدجاج، وكذلك بلحم الضأن والبقر، بجانب الخبز، وتفرق تلك الأصناف على أربابها من دار الوزارة والشيوخ والأصحاب والمستخدمين(٣).
- وآخر الاحتفالات المذكورة في السيرة كان الاحتفال بمولد سيدنا عيسى عليه السلام، ذكره كذلك مرة واحدة ضمن أحداث عام ٥١٧هـ/١١٢٣م واقتضب في الحديث عنه، مقتصرًا فيه على ذكر ما يفرق فيه من أصناف تشمل: الزلابية، والحلاوات،

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٥.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٦.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٩.

والسمك البوري، كما ذكر أنها تفرق على أصحاب السيوف والأقلام(١).

- قال ابن المأمون: إن الوزير قد وفى بما وعد به الخليفة من إقامة الأسمطة والاحتفالات في قصر الخلافة، فسُر الآمر بذلك وقال لوزيره: "قد أعدت لدولتي بهجتها"(٢).
- يُلاحظ أن ذكر الاحتفالات عند ابن المأمون لم يبدأ في السيرة إلا من عام ٥١٥هـ/١١٢١م، أما ما قبل ذلك من سنوات فلم يثبت فيها ذكر لآية مراسم احتفالية، ولعل مرد ذلك أنه بدأ بذكر مظاهر الاحتفال منذ تولي أبيه الوزارة من عام ٥١٥هـ/١١٢١م، ولعلها أيضًا تلك الفترة التي شاهد فيها ابن المأمون بنفسه هذه الاحتفالات، فقام بتوثيق مشاهداته.
- بعض الاحتفالات يذكرها ابن المأمون في كل سنة من السنوات الثلاثة ابتداءً من ٥١٥هـ/١١٢١م واللتان تليها مثل الاحتفال بـ "عاشوراء، وموسم فتح الخليج، _ ولعل فى تعدد ذكره الاحتفال بيوم عاشوراء راجعًا إلى أهميته، فهو الحدث الجلل عند الفاطميين_ وبعضها لا يتقيد ابن المأمون بذكر أحداث الاحتفال بها في كل عام، بل أغفل ذكرها، ولم يأت بها إلا مرة واحدة، كما فعل في حديثه عن عيد الغطاس – والنوروز – والمولد النبوي – والمولد العيسوي، فأتى بذكرهم مرة واحدة ضمن أحداث عام ٥١٧هـ/١١٢٣م.

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٦.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٥٠.

- في كل ما سبق ذكره من احتفالات يسجله لنا ابن المأمون بوصف دقيق يشتمل على زمان الاحتفال ومكانه، وطريقته، ويُراعي في وصفه توضيح إن كان الاحتفال يختلف عن غيره من الاحتفالات، فيبين ذلك في موضعه، ويوضح مظاهر الاختلاف، وكأنه يريد أن يفصل للقارئ كل شيء حتى لا يلتبس عليه أمر، ولا يريد أن يترك لمخيلة القارئ أي شيء قد يتوهمه، فيقطع عليه ذلك بمعلومات قطعية، ووصف مفصل، وفي حال ذكره الاحتفال في أكثر من عام، فإنه يأتي فيه في كل مرة بتفاصيل جديدة.

والحق أن كل هذه الاحتفالات ليست من الإسلام في شيء، لأن أعياد الإسلام حصرها النبي صلى الله عليه وسلم في عيد الفطر، وعيد الأضحى، والأصل في هذا حديث أنس بن مالك[١] رضي الله عنه قال: "قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر"[٢].

---

(١) أنس بن مالك: خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، ودعا له النبي بكثرة المال والولد، كان من أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر، ومناقبه كثيرة، مات بالبصرة في ٩١هـ/٧٠٩م، وقد جاوز المائة. "السخاوي، الإمام شمس الدين: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص١٩٨".

(٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل، طبعة خاصة، دار الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، حديث رقم (١١٣٤)، باب صلاة العيدين، ج٢، ص٣٤٥.

(العمارة):

وفي وزارة المأمون للخليفة الآمر، جرى الاهتمام بالعمـــارة أيضًـــا، فاهتم بأعمال العمائر والمنشآت ما بين استحداث جديـــد، وتجديـــد قـــديم؛ وتعمير ما خرب، وقد تنوعت أعماله هذه بين مساجد، ودور، ومنـــاظر، ومن هذه الأعمال:

- جاء في السيرة في ٥٠٦هـ/١١١٢م أن المأمون أثناء وزارته أمر أن يُبنى على سد أبي منجا منظرة، بعدما طلب الآمر منه أنه يريد رؤية الخليج، فأمر المأمون ببناء المنظرة(١).
- تكلم ابن المأمون في ٥١٥هـ/١١٢١م أن المأمون استجد بالقصر ثلاثة مناظر وسماهم الزاهرة، والفاخرة، والناضرة، وكان الخليفة الآمر يجلس فيهم لعرض العساكر(٢).
- وذكر أن المأمون عمر مسجد باب الخوخة(٣)، حيث أمر ببنائه في ٥١٦هـ/١١٢٢م، فعمر سريعًا، حتى أنه تفطـــر مـــن ســـرعة العمارة، فأصلح، وأقيمت الصلاة فيه(٤).
- وتحدث مؤرخنا أن المأمون أنشـــأ فـــي ٥١٦هـــ/١١٢٢م دارًا لضرب العُملة، كما أنشأ دار الوكالة بالقاهرة لمن يصل من تجار العراق والشام وغيرهما من التجار(٥).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٤.

(٢) ابن المأمون: السير، ص٣٧.

(٣) باب الخوخة: يقع خارج القاهرة، على الخليج، كان محرسًا، فأزيل وبني المسجد موضعه. "ابن عبد الظاهر: الروضة، ص٩٧، المقريزي: المقفى، ج٦، ص٤٩٣".

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص٥١.

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص٦٧، ٦٨.

- وطبقًا لما ذكره ابن المأمون في ٥١٦هـ/١١٢٢م، فقد أعاد المأمون بناء دار العلم مرة أخرى، وذلك بعدما أغلقت في عهد الأفضل(١).
- كما ذكر في ٥١٦هـ/١١٢٢م أن المأمون أعاد البِركة التي كانت أمام منظرة اللؤلؤة، وكانت مختلطة بالخليج، ثم انقطعت البركة من الخليج، وأُقيم بينها وبينه حيز، وسارت متنزهًا للسودان أيام النيل والربيع، فلما أحب الخليفة الآمر إعادتها، قام المأمون بإحضار عرفاء السودان، وأمرهم بنقل ذلك وعوضهم، فبنوا لهم حارة، وأمر بنقض الجسر الذي بين البركة والخليج، وعمق البركة حتى صار الخليج مسلطًا عليها(٢).
- وتحدث ابن المأمون في ٥١٦هـ/١١٢٢م، عن صدور أمر الوزير بأن من كان له دار خراب فليعمّرها، ومن عجز عن عمارتها له أن يبيعها أو يؤجرها، فأباح لهم التعمير(٣).
- وطبقًا لما ورد بالسيرة فقد أمر المأمون في ٥١٦هـ/١١٢٢م أن تتجدد عمارة المشاهد التي بين الجبل والقرافة(٤)، وأولها مشهد السيدة زينب وآخرها مشهد السيدة أم كلثوم(٥)، وأن يتم إصلاح ما

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٨٦.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٩٢.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٩٥.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٨.

(٥) مشهد السيدة زينب والسيدة أم كلثوم: من مشاهد الشريفات: مشهد السيدة زينب ابنة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، ومشهد أم كلثوم ابنة محمد بن جعفر الصادق رضي الله عنهم، وغيرهما من المشاهد، وكل بها قومة يسكنون فيها ==

تهدم منها، وأمر بأن يُوضع على كل مشهد لوح من رخام عليه اسمه وتأريخ تجديده، وقد تم ما أمر به، ومدحه الشعراء على فعله(١)، ولعله أراد تخليد ذكره وعمله في التاريخ بوضع اسمه وتاريخ التجديد في لوحة الرخام، فحفظ له التاريخ ذلك.

- ومما تحدث به ابن المأمون في ٥١٧هـ/١١٢٣م صدور أمر المأمون بعمارة دار لصناعة الأساطيل بمصر، وأنشأ بها أيضًا المنظرة، ليحل بها الخليفة يوم أن تخرج الأساطيل في المهمات المختلفة(٢).

(الجوانب العلمية):

تحدث المؤرخ أن المأمون أمر في ٥١٦هـ/١١٢٢م بإعادة فتح دار العلم والتي كان الأفضل قد أمر بإغلاقها من قبل لما بلغه أن بها رجلين أحدهما: يُسمى بركات(٣)،

==

ويحفظونها، والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر. "ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني: رحلة ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت، ج١، ص٥٠".

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٩٦.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٤، ١٠٥.

(٣) بركات: ظهر بمصر أيام الأفضل، تبعه جماعة، وكانوا يجتمعون بدار العلم من القاهرة، وصرحوا بأمور قبيحة، فلما بلغ الأفضل ذلك أمر بغلق دار العلم، والقبض على بركات، فهرب، فلما ظهر كان قد أصابه المرض، ثم مات."المقريزي: المقفى، ج٢، ص٥٧١".

والآخر يُسمى القصار[١]، يستفسدان عقول من يأتي إليها، فأمر بالقبض عليهما وإغلاقها، إلا أن المأمون هو الآخر أمر بإغلاقها في ٥١٧هـ/١١٢٣م لما بلغه أن رجلاً ادعى الربوبية واجتمع إليه خلق كثير أفسد عقولهم، فأمر بقتله، وإغلاق دار العلم[٢].

(التراجم):

لم تحوِ سيرة ابن المأمون تراجم للشخصيات؛ وذلك لأن موضوعها خاص بالتأريخ للمأمون البطائحي، ولذا قل أن تجد فيها تراجم لأحد، ومما ذكره ابن المأمون من تراجم:

- أنه في ٥١٢هـ/١١١٨م توفي الأمير نور الدولة أبو شجاع فاتك، والد المأمون، فأخرج له الأفضل من ثيابه بدلة حريرية وقارورة كافور، وطيبًا، وبخورًا، وشمعًا، وحمل له من القصر أضعاف ذلك، وخرج الأفضل والأمراء وجميع حاشية القصر إلى الإيوان، فصلوا عليه وراء الخليفة، ثم دفن، وفرقت الصدقات عند تربته مدة شهر[٣].

---

(١) القصار: حميد بن مكي الأطفيحي، كان رفيقًا لبركات الذي استغوى الناس بمصر، فلما مات بركات فرَّ حميد، فلما مات الأفضل عاد حميد وسكن مصر، وصار يتردد إلى دار العلم بعدما فتحها المأمون البطائحي، ويُفسد عقول الناس، وادعى الربوبية، واستهوى من ضعف عقله، وقلت بصيرته، حتى قبض المأمون عليه، ومات في ٥١٧هـ/١١٢٣م."المقريزي: المقفى، ج٣، ص٦٨٤، ٦٨٥".

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٨٥: ٨٩.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٧.

- كما تحدث عن الأفضل ومقتله في ٥١٥هـ/١١٢١م، ومراسم جنازته، وإظهار رجال الدولة الحزن عليه، ثم تناول بالحديث ما تركه من ممتلكات(١).
- أيضًا ترجم لكل من بركات والقصار، وذكر أنهما قتلا في ٥١٧هـ/١١٢٣م(٢).

(الطرائف):

أتى ابن المأمون بطرفة عن رجل من الأجناد يُسمى ابن زحل، كان يأكل خروفًا إلى آخره، وقد أُسر هذا الرجل من قبل الفرنج، وذُكِر للفرنجي الذي أسره كثرة أكله، فأراد أن يمتحنه، وعرض عليه أن يأتي إليه بعجل، فإذا أكله أَطلق سراحه، فوافق ابن زحل، وأُحضر العجل، وظن الفرنجي أن ابن زحل لن يقوى على أكله جميعه، إلا أنه أُصيب بالذهول حينما أكله بأكمله، فلم يكن أمامه إلا أن يفي بوعده، فأعتق ابن زحل وأطلق سراحه(٣).

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٢١: ٢٦.

(٢) ابن المأمون: السيرة المأمونية، ص٨٨.

(٣) السيرة المأمونية، ص٦٦، ٦٧. ولعل ذلك من قبيل المبالغة.

المبحث الثالث

(الأسلوب والمنهجية عند ابن المأمون)

بعد استعراض أهم ما حوته السيرة المأمونية يتبين ما اعتمده فيها ابن المأمون من أسلوب ومنهجية جاءت كالتالي:

(الطريقة الحولية):

- الطريقة الحولية، وهي التي تعتمد على سرد الأحداث بحسب السنين(١)، فيبدأ كل سنة بذكر أحداثها، فإذا انتهت السنة، افتتح غيرها بعنوان "سنة كذا"(٢)، وقد اتبع ابن المأمون الطريقة الحولية في سرد أحداث سيرته، مثل قوله:"سنة إحدى وخمس مائة، وفيها اتصل..." وكقوله:" سنة خمس عشرة وخمس مائة:"وفي يوم عاشوراء.." (٣)، وهكذا.

موارده:

المشاهدة والمشاركة:

- لا شك أن ابن المأمون كان شاهد عيان للعديد من الأحداث التي أتى بها فى سيرته، يدل على ذلك حديثه في ٥١٥هـ/١١٢١م عن نفسه وإخوته حين وجودهم مع أبيهم عند السرداب: "...وأولاده

(١) فاروق عمر فوزي: التدوين التاريخي، ص٦٩.

(٢) صائب عبد الحميد: علم التاريخ ومناهج المؤرخين في علم التاريخ نشأة وتدوينًا ونقدًا وفلسفة ومناهج كبار مؤرخي الإسلام، ط١، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٥٢.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٣، ٢٠.

الثلاثة عن يمينه..."[١]، فهنا يقع الجزم بأن ابن المأمون كان شاهد عيان، فيسرد بالتفصيل كل ما وقعت عليه عينه، وضمنه في هذه السيرة.

- وقوله عن نفسه: "ورأيت شاهدًا ..."، وذلك عند حديثه عن موسم فتح الخليج وما أُعِد له من كسوة، ومقدار تكلفتها في عام ٥١٦هـ/١١٢٢م[٢]، أي أنه شاهد الحدث بنفسه، ويستخدم قوله: "شاهدًا"، بعد قوله:" رأيت" للتأكيد.
- دليل آخر على أنه شاهد السجلات بنفسه قوله في ٥١٧هـ/١١٢٣م: "عُرض روزنامج بما أنفق عينًا من بيت المال ... "[٣]، فمعنى عُرض: أي أنه مُدون، فإما أن ابن المأمون كان موجودًا وقت عرضه أو أنه اطلع عليه بعد ذلك، وفي الحالتين رآه وشاهده.
- ومن دلالات مشاهدته لما يتحدث عنه ويصفه أيضًا وصفه لزي الخليفة عند افتتاحه موسم الخليج والاحتفال به في أحداث ٥١٨هـ/١١٢٤م، وهو الزي المسمى بـ "شدة الوقار"، فأبدى ابن المأمون شديد إعجابه به، واصفًا ما أضفاه هذا الزي بالفعل على الخليفة من الوقار والهيبة، فإعجاب ابن المأمون به دليل على رؤيته له[٤].

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٤٠.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٩٠.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢١.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٣٣.

- **الوثائق والسجلات:** جمع ابن المأمون مادة كتابه بعد وقت طويل من وقوع الأحداث التي يصفها، فتوافرت لـه إمكانيـة مراجعـة وثائق ديوانية مكنته من إيراد هذه التفاصيل الغنية التي قدمها في كتابه، أو أن تكون هناك نسخ من هذه القوائم المطولة التي أوردها وجدها في أوراق والده(١)، وكانت محفوظة في دار الوزارة كمـا ذكر ذلك ابن المأمون عند حديثه في ٥١٥هـ/١١٢١م عن كتاب الأيمان الذي كتبه الخليفة الآمر للمأمون عند توليه الوزارة، فذكر أنه عُمل منه نسختان، أحدهما: كانت بحوزة ابن المأمون(٢).
- كما أورد في ٥١٥هـ/١١٢١م سجلاً صادرًا عن المأمون مختصًا بالمسامحة لمن تبقى عليه شيء من الأموال مما هو حق الدولـة، فقال:".. إننا لا ندع ضررًا يتوجه إلى أحد من الرعية إلا حسمناه، ولا نعلم صلاحًا يعود نفعه عليه إلا قوينا سببه ووصلناه..." (٣).
- أتى ابن المأمون بنص المنشور الذي أصدره الخليفة الآمر ضمن أحداث ٥١٦هـ/١١٢٢م والخاص بمسامحة الخليفة لسكان الرباع السلطانية وأصحاب الحوانيت والطواحين بأجرة شـهر رمضـان تقربًا إلى الله، وكان مما جاء في منشور المسامحة علـى لسـان الآمر:".. رأينا ما خرج به أمرنا من كتب هذا المنشور بمسامحة كافة سكان الأرباع السلطانية .. بأجرة شهر رمضان.." (٤).

---

(١) ابن المأمون: السيرة المأمونية، مقدمة المحقق، ص١٧: ١٨.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٣٦.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٤٤، ٤٥.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٠، ١١١.

- ومما يؤيد اطلاعه على السجلات والوثائق قوله في ٥١٧هـ/١١٢٣م عن الكتب التي أُرسلت مع رسل صاحبي دمشق وحلب إلى الخليفة والوزير: ".. وكان مضمون الكتب – بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة .."(١)، فهذا مما يدل على اطلاعه عليها.
- **الشهود للأحداث**، والعاملين في الأمر الذي يتناوله بالحديث، ودليله قوله في٥١٧هـ/١١٢٣م عن نفقات التوابل: ".. فأما التوابل العال منها والدون فإنها جملة كبيرة، ولم يقع لي شاهد بها، بل إني اجتمعت بأحد من كان مستخدمًا في خزانة التوابل فذكر أنها تشتمل على.."، وكقوله في نفقات الخل والبقول: ".. على ما حصره شاهده في السنة .."(٢)، فما لم يشاهده ابن المأمون بنفسه ويعلمه من غيره، فإنه يصرح بذلك.
- **التحديث والمشافهة:** عن القاضي المكين(٣)، ودليله قوله في ٥١٧هـ/١١٢٣م: "حدثني القاضي المكين بن حيدرة.. وهو من أعيان الشهود بمصر ... "(٤)، فذكر ابن المأمون المورد الذي استقى منه معلوماته، واتبعه بذكر وظيفته التي كان يشغلها آنذاك.

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٢.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢٣.

(٣) القاضي مكين الدولة: أحمد بن عبد المجيد بن حديد، وُلد في ٤٦٢هـ/١٠٦٩م، ولي قضاء الإسكندرية، وأضيف إليه مشارفة الثغور، كان ذا مروءة عظيمة، توفي في ثغر رشيد وهو عائد من القاهرة إلى الإسكندرية، في ٥٢٨هـ/١١٣٣م. "المقريزي: المقفى، م١، ص٥٠٥".

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٧.

- **السماع** من أبيه الوزير المأمون، وقد عبر عن ذلك بقوله في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن نوبة القصار: "وكان الشريف عبد الله يُحدِث عن صديق له مأمون القول.."(١)، وعلى هذا يتضح أن ابن المأمون لا يذكر الحدث الذي سمعه من غيره، إلا أن يكون المُحدث الأصلي به صادقًا.
- **الثقاة** لدى ابن المأمون، بدليل قوله في أحداث ٥١٦هـ/١١٢٢م عن الاستيمار(٢): "وأما الاستيمار فبلغني ممن أثق به.."(٣)، وفيه دليل أيضًا على أنه يتحرى السؤال، ويبلغه الجواب، ويعرفنا بمصدره.
- **ما شاع ذكره**، دليله قوله في ٥١٧هـ/١١٢٣م عن دار الطراز: ".. الشائع فيها أنها كانت تشتمل في الأيام الأفضلية على .. "(٤).
- ما لم يتأكد منه ابن المأمون بنفسه يُعبر عنه بقوله: "وذُكر"، كما فعل عند حديثه عن السجادة اللطيفة التي يصلي عليها الخليفة في الأعياد، فقال في٥١٦هـ/١١٢٢م:".. ذُكر أنها كانت من جملة حصير .."(٥)، وكذلك تعبيره بقوله "**على ما ذُكر**"، عند حديثه عن مساحة الخيم التي تضرب عند الاحتفال بارتفاع منسوب النيل في

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٨٨.

(٢) الاستيمار: هو دفتر متضمن مقدار النفقات، والعطاء، التي تقرر في غُرة السنة، وبها كذلك المصارف التي يُصرف فيها هذا المقدار. "القلقشندي: صبح الأعشى، طبعة مصورة عن الخدوية، ج٣، ص٤٩٤".

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢١.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢١.

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٩.

أحداث ٥١٦هـ/١١٢٢م[١]، كما عبر بقوله: "ورد الخبر" عند حديثه عن مقتل والي الصعيد على يد لواته، وذلك عقب هجومه على سواحل الإسكندرية في٥١٧هـ/١١٢٣م[٢]، وقوله أيضًا: "وذُكر" حينما تحدث عن قيمة دهن الشمع المهدى من القاضي مكين الدولة إلى المؤتمن في٥١٧هـ/١١٢٣م[٣]. ولعل مرد ذلك إلى أن ابن المأمون لم يقطن في الإسكندرية ليرى تلك الأحداث، ولكنه علم بخبرها، ولذلك عبر عنها بقوله: "ورد الخبر".

مصادره التاريخية:

وموارد ابن المأمون ومصادره – إلى جانب مشاهدته واطلاعه على الأحداث ووجود العديد من **الوثائق والسجلات** محفوظة لديه – استمدها من شهداء عصره الذين عاصروا الأحداث معه؛ وذلك لأنه لا يكتب عن زمنٍ ماضٍ لم يشهده، بل كتب عن زمنٍ عاش فيه، حتى ولو دون تاريخه بعدها بفترة زمنية وجيزة، لكنه لا زال في حديثه عن الحقبة التي عاشها، ولذا فإن من موارده من كان معاصرًا معه الأحداث ممن عُرف لنا بعد ذلك من علماء هذا العصر، ولذا نجده يذكر أسماءهم في كتابه، **ومن هؤلاء:**

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٩.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٠.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٢.

- **علي بن منجب الصيرفي**(١)، والسجلات والمناشير التي من إنشائه.
- **القاضي الرشيد بن الزبير**(٢)، الذي كان آنذاك متوليًا الإشراف على الصعيد الأعلى(٣).

الاستشهادات (النص- والحوار – والأقوال):

تعددت النصوص التي يستشهد بها ابن المأمون في سيرته، منها: استشهاده بالقرآن الكريم، وبالأشعار، والنصوص.

- فعن استشهاده بآيات القرآن الكريم، ما ذكره في أحداث ٥١٥هـ/١١٢١م عقب موت الأفضل بأن القارىء استفتح على قبر الأفضل بقول الله تعالى: "وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ"(٤) وعقّب بحديثه عن تأثر وبكاء الحضور على القبر بالآية بعد تلاوتها(٥).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٥، ٧٦.

(٢) القاضي الرشيد بن الزبير: أحمد بن علي الغساني الأسواني، كان من ذوي الفضل والرياسة، ولي النظر في ثغر الإسكندرية بغير اختياره، له ولأخيه القاضي المهذب ديوان شعر، قتله الوزير شاور بعد أن علم أنه سافر إلى اليمن ومدح بها بعض ملوكها بأبيات كانت سببًا في غضب صاحب مصر ووزيره، فقبض عليه وأرسله إلى مصر، وقتل في ٥٦١هـ/١١٦٥م."اليافعي اليمني: مرآة الجنان، ج٣، ص٣٦٧، ٣٦٨".

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٤٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية (٩٤).

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٨.

- وذكر قول الله عز وجل: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالا"(١)، في٥١٦هـ/١١٢٢م أثناء حديثه عن أن القراء في مناسبة عيد الفطر يطربون بذكرها في مجلس الخليفة(٢).
- كما ذكر أيضًا عند حديثه عن القراء أنهم يُحسنون فيما يختارونه من آيات القرآن الكريم في المناسبات المختلفة مما يراعي مقتضى الحال، مثل استحسانهم تلاوة قول الله تعالى: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ (٣)" وقوله تعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ..(٤)" وكل ذلك حال وجودهم في مجلس الخليفة الخاص بالاحتفال بعيد الفطر من عام ٥١٦هـ/١١٢٢م(٥).
- ومنها قوله تعالى: "إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ"(٦)، وذلك حينما تحدث في ٥١٨هـ/١١٢٤م عن عرض الخيل أمام الخليفة أثناء الاحتفال بموسم فتح الخليج، فقال: "وقد صفت الرّواض وأزمّة الاسطبلات خيل المِظلة بعد أن أزالت الأغشية ..، وبقيت كما وصفها الله تعالى في كتابه.. (٧)"، إشارة إلى ما وقع لسيدنا سليمان عليه السلام.

---

(١) سورة النحل، الآية (٨١).
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية (١٤).
(٤) سورة آل عمران، الآية (٢٦).
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص٥٦.
(٦) سورة ص، الآية (٣١).
(٧) ابن المأمون: السيرة، ص١٣٤.

استشهاده بالأشعار:

- أورد ابن المأمون شعرًا للقاضي أبي الفتح محمود بن قادوس[١]، يمدح فيه الوزير المأمون البطائحي قال فيه:

قالوا أتاه النعت وهو السيد الـ مأمون حقًا والأجل الأشرف

ومغيث أمة أحمدٍ ومجيرها ما زادنا شيئًا على ما نعرف

وقد قيل هذا الشعر في مناسبة زيادة النعوت للمأمون في عام ٥١٥هـ/١١٢١م[٢].

وعن استشهاده بنصوص السجلات وما تحويه من معلومات، فأحيانًا إما يُورد النص بلفظه، وينسبه إلى صاحبه ، أو يُسند النص إلى مبهم، فيذكر النص دون ذكر صاحبه، وأحيانًا يذكر مضمون النص وليس لفظه سواء ذكر اسم صاحبه أو لا، وهذا كله يثري السيرة ويزيد من أهميتها، لأن تلك الشواهد والنصوص تدعم مصداقيتها.

إسناد النص المكتوب إلى صاحبه مصرحًا بذكر اسم المؤلف دون اسم الكتاب:

- أورد بعض نصوص السجلات التي كتبها ابن الصيرفي، فيورد له نص السجل كاملاً، والخاص بالسنة الشمسية والخراجية والتي

---

(١) محمود بن قادوس بن إسماعيل، كاتب الإنشاء بالحضرة المصرية، أصله من دمياط، كان القاضي الفاضل يعظمه كثيرا ويسميه ذا البلاغتين، توفي في ٥٥١هـ/١١٥٦م."أبو شامة: الروضتين، ج١، مؤسسة الرسالة، ص٣٢٩، ٣٣٠".

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٤١.

تحدث عنها ضمن أحداث عام ٥٠١هـ/١١٠٧م، ومما أورده ابن المأمون في ذلك:".. وقد رأى أمير المؤمنين ما خرج به أمره إلى السيد الأجل الأفضل .. من نقل سنة تسع وتسعين وأربع مائة إلى سنة إحدى وخمس مائة لتكون موافقة لها.." (١)، وفي إيراده النص كاملاً تحرٍ منه بأن يورد الأمر برمته كاملاً أمام القارىء بنصه ولفظه دونما تصرف فيه.

- وأورد في ٥١٥هـ/١١٢١م سجلاً للقاضي الرشيد بن الزبير مرفوعًا إلى الأفضل يحوي حصرًا لأملاك الدولة التي اغتصبها بعض الملاك وأضافوها إلى أملاكهم، وقد تمت مسامحة المغتصبين من قبل الأفضل آنذاك نظير أداء ما عليهم من خراج للدولة، ومما جاء بالسجل:".. وقد أنعمنا وتجاوزنا عما سلف، ونهينا عمن يستأنف، وسامحنا من خرج إلى التعدي عن المألوف.. "(٢).
- كذلك يستشهد بإيراد نص لابن الصيرفي ضمن حديثه عن كسوة العيد وتوزيعها على وجوه الدولة في أحداث ٥١٦هـ/١١٢٢م، وقد أوضح أن هذا النص كتبه ابن الصيرفي في ٥٣٥هـ/١١٤٠م وأن الرقعة التي تتضمن هذا النص محفوظة في ديوان الإنشاء، ومما جاء في النص:".. ولما أقبل هذا العيد السعيد –والعادة فيه

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٥: ص١٠.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٤٦: ٤٧.

أن يُحسن الناس هيئتهم..- ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أوليائه.. بكسوات .."[١].

الإسناد إلى مبهم؛ وذلك بذكر النص دون التصريح باسم صاحبه:

- أورد ابن المأمون في ٥١٠هـ/١١١٦م شعرًا قيل ضد ذخيرة الملك جعفر، دون نسبة أبيات الشعر إلى صاحبها فقال:

بنى مسجدًا لله من غير حِله وكان بحمد الله غير موفق

كَمُطْعِمَة الأيتام من كدّ فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدقي[٢]

- كما أتى ابن المأمون في أحداث ٥١٥هـ/١١٢١م حين حديثه عن مقتل الأفضل بنص مضمون سجل التعزية الذي أرسله الخليفة الآمر إلى الكافة، ومما جاء فيه:".. قد علمتم ما.. جرت به الأقدار على عادتها ومألوفها من فقد السيد الأجل الأفضل.. الذي كان عماد دولة أمير المؤمنين.." [٣].
- كذلك أورد ابن المأمون في ٥١٧هـ/١١٢٣م نص المرافعة التي رُفعت ضد متولي ديوان المجلس يوحنا بن أبي الليث، لكنه لم يذكر اسم رافعها، إذ من الواضح أنه لا علم له به، فجاء في النص:"المملوك يُقبل الأرض، ويُنهي أنه ما واصل إنهاء حال هذا الرجل.. وقد حصل له من الأموال والذخائر ما لا عدد له ولا

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٧٦.

(٢) السيرة المأمونية، ص١٧.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٢٩: ٣١.

قيمة عليه، ويضرب المملوك عن وجوه الخيانة التي هي ظاهرة.." [1]، وهذا مما يُحسب لابن المأمون في عدم ادعائه العلم فيما لا يعلمه، بل يصمت تمامًا عما لا يعرف مصدره.

النسق التعبيري:

- لا يكتفي ابن المأمون بالاستشهاد بنصوص السجلات المكتوبة، بل يستشهد أيضًا **بالمحاورة**، كأن يورد في سيرته حديثًا وحوارًا بين طرفين، فيأتي بنص الحوار مثلما هو دونما تدخل أو تصرف فيه من قبله، حتى ولو كان الحوار عامي اللغة، وذلك مثل ذكره في ٥٠١هـ/١١٠٧م للحوار الذي دار بين الأفضل وبين يوحنا بن أبي الليث صاحب ديوان المجلس، حينما أخرج بن أبي الليث صناديق الدراهم في جانب، والدنانير في جانب، وأراد أن يشاهدها الأفضل، فقال الأفضل:".. يا شيخ، تُفرِحني بالمال! وتربة أمير الجيوش إن بلغني أن بئرًا معطلة، أو أرضًا بائرة، أو بلدًا خرابًا، لأضربن عنقك"، ثم أتى ابن المأمون باستكمال الحوار برد ابن أبي الليث على الأفضل بقوله: ".. وحق نعمتك لقد حاشا الله أيامك أن يكون فيها بلد خراب، أو بئر معطلة، أو أرض بور"[2]، فهنا ذكر ما دار بين الاثنين من حديث بلغتهما دون تدخله أو تصرفه فيه.

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٢: ١١٥.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠.

- كما يستشهد **بأقوال** يوردها جرت على لسان أصحابها، كإتيانه في ٥١٥هـ/١١٢١م بقول الأفضل حين الحديث عن جلوسه على مرتبة الوزارة التي توضع عند باب السرداب الذي خلفه الحمام: "ما أزال أُعد نفسي سلطاناً حتى أجلس على تلك المرتبة ويُغلق الباب في وجهي والدخان في أنفي"(١).
- كذلك مما أورده ابن المأمون في ٥١٥هـ/١١٢١م نص الحوار الذي دار بين الخليفة الآمر وبين المأمون البطائحي حينما عرض عليه الوزارة، وامتناع المأمون عن قبولها، ثم وضح رفض الخليفة لهذا الامتناع، وإصراره على تولي المأمون الوزارة، كما أورد حوار المأمون الخاص بشروطه التي اشترطها حتى يقبل بمباشرة الوزارة ومهامها، ومما جاء في ذلك:".. يا مولانا امتثالنا الأمر صعب.. وما في قُواي ما يرومه مني.. فعند ذلك تغير الخليفة وأقسم: لا يكون لي وزير غيرك، فقال له المأمون: لي شروط أذكرها، فقال له: مهما شئت اشترط.."(٢).
- أيضًا أتى ابن المأمون في ٥١٧هـ/١١٢٣م بنص الحوار الذي تحدث به كل من متولي بيت المال ومتولي الديوان مع الخليفة الآمر حول شكوى الناس من قلة وجود الفستق وغلاء سعره، فجاء ابن المأمون بنص الحوار كما هو حتى نهايته عند قولهما:

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٠.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٥، ٣٦.

"... أنهى المملوكان ذلك وللمجلس فضل السمو والقدرة فيما يأمر به إن شاء الله تعالى"(١).

- ومما جاء به ابن المأمون في سيرته ذاك الحوار الذي دار بين رسول الخليفة الآمر وبين علي بن السلار حول طلب الخليفة من ابن السلار ومن معه مفارقة المؤتمن أخي الوزير المأمون وذلك في أحداث عام ٥١٩هـ/١١٢٥م، ومما جاء في النص:".. تُحدث رفقتك بأجمعهم في الانفصال عن المؤتمن.."(٢).
- أحيانًا يورد ابن المأمون **مضمون النص** دون التقيد بلفظه، فعل ذلك في أحداث ٥١٦هـ/١١٢٢م حينما أتى على ذكر الكتب المرسلة من صاحبي دمشق وحلب فقال: ".. وكان مضمون الكتب.." (٣) ثم تناول مضمونها ولم يورد نصها.

النقول:

ربما كان الدافع الأدبي سببًا وراء الاستعانة بالوثائق عند كتابة التاريخ، فكثيرًا ما كانت تُنقل الوثيقة بنصها الكامل أو معظمها؛ ليس فقط لقيمتها السياسية أو الإخبارية، ولكن لقيمتها الأدبية؛ ولذا تجد أن بعض المؤرخين ينقلون النصوص نقلاً حرفيًا، إعجابًا منهم بأساليبها وأساليب أصحابها(٤)، واعتماد ابن المأمون على الوثائق في سيرته حفظ لها أهميتها كمصدر مهم يؤرخ للفترة التي تناولها، إذ إنه قام بتوثيق معلوماته

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٢٩.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٤٣.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٢.

(٤) شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون، ج١، ص٣٨١.

بنصوص أصلية أخذها مباشرة من منابعها، ولعله بوصفه أديبًا، لامس أسلوب هذه النصوص أدبيته فأتى بكثير منها فى سيرته.

الإشارة إلى بداية النقول:

تتنوع طريقة ابن المأمون في إشارته إلى بداية النص الذي يورده كأن يقول: ".. فأنشأ ما نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم .."(١)، ونحو قوله: ".. فكتب ما مِثاله: هذا كتاب من.."(٢) وأيضًا قوله: ".. ثم أمر الخليفة بإنشاء منشور يتلى، مضمونه.."(٣) كما ذكر في بداية نقله لنص قوله: ".. ونسخته بعد التصدير.."(٤)، وكذلك قوله: ".. وكتب منشور نسخته.."(٥) وقوله: ".. وقعت مرافعة في أبي البركات يوحنا بن أبي الليث متولي ديوان المجلس صورتها.."(٦).

الإشارة إلى نهاية النقول:

أيضًا تعددت إشارات ابن المأمون إلى نهاية النص المنقول، كأن يذكر: ".. وكُتب في محرم سنة.."(٧)، ونحو قوله: ".. وليُقرأ بالجامع المذكور ليقع التصفح والتأمل في اليوم وما يليه إن شاء الله تعالى"(٨)،

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٥.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٩.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٣١.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٤١.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٥.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص ١١١، ١١٢.
(٧) ابن المأمون: السيرة، ص١٠.
(٨) ابن المأمون: السيرة، ص ٣١.

وأيضًا قوله: ".. وما توفيقنا إلا بالله، عليه نتوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل"(١). وقوله: ".. فليعتمد العمل بما تضمنه هذا المنشور..، وليخلد بالمسجد العتيق بمدينة مصر، منعًا لمن يروم التأول فيه، أو يغض شيئًا من رصفه إن شاء الله"، وأخيرًا يشير ابن المأمون إلى نهاية النص بقوله: ".. انتهى"(٢).

وقد ينتهي النص دون إشارة إلى نهايته، وهذا نادر ما يفعله، وقد ورد فيما وصل إلينا من السيرة في موضعين فقط، أحدهما: نص المسامحة بالبواقي في أحداث ٥١٥هـ/١١٢١م(٣)، والآخر: المنشور الذي كتبه ابن الصيرفي عن كسوة عيد الفطر من عام ٥١٦هـ/١١٢٢م(٤).

التوقيت الزمني عند ابن المأمون:

استخدم ابن المأمون للتعبير عن التوقيت الزمني أساليب متعددة منها:

- أحيانا يذكر الحدث مؤرخًا بمُسمى اليوم، وتاريخه، والشهر الهجري، وذكر السنة الهجرية، وذكر التوقيت، وذلك مثل حديثه عن حفر سد أبي المنجا، فهو يذكر بدء الحفر باليوم (الثلاثاء)، والتاريخ (السادس)، والشهر الهجري (شعبان)، والسنة (ست وخمسمائة)، والوقت (الضحى)(٥).

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٦.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١١١.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٣.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٧.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ١٣.

- والحدث إذا كان مستمرًا فهو يُحدد توقيت ما اتُخذ من إجراءات حياله، مثل حديثه في ٥٠٩هـ/١١١٥م عن إرسال الأفضل الجيوش لمحاربة الفرنج بقوله: "فسيّر الأفضل بن أمير الجيوش (للوقت).."(١)، فهو معني بتحديد الزمان بدقة.
- أيضًا في حديثه ٥١٥هـ/١١٢١م عن جنازة الأفضل فقد فصل فيها الوقت وهو يصف مشهد الجنازة، فعدد المشهد بالزمان والمكان، موضحًا ساعة خروجها (في الثالثة)، وزمنها معبرًا عنه بقوله (من نهار)، وحدد اليوم (الثلاثاء)، والشهر (ثاني شوال)، وكذلك السنة (خمس عشرة وخمسمائة)(٢).
- وكذلك قوله في ٥١٥هـ/١١٢١م عن نسخة عهد الأيمان الذي كتبه الخليفة الآمر للمأمون عند توليه الوزارة، وأنه طلبه بعد القبض عليه وحرقه: " ... فحرقها لوقتها."(٣).
- وأحيانًا لا يذكر اليوم ويكتفي بذكر الشهر والسنة، كما فعل حين حديثه عن بناء دار الضرب، فحدد زمانها "..في شوال.." وحدد السنة "...سنة ست عشرة وخمسمائة..."(٤).
- كما أنه أحيانًا إذا استكمل أحداثًا في نفس الشهر فلا يكتفي بقوله: "وفي هذا الشهر..."، بل يعقبه بذكره اسم الشهر مجددًا وكذلك السنة، مثل حديثه عن دار الوكالة التي بُنيت في توقيت بناء دار

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٥.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٢٧.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٣٦.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص٦٧.

الضرب نفسه وهو شهر شوال عام ٥١٦هـ/١١٢٢م فقال عن موعد بنائها: "وفي هذا الشهر- يعني شوالاً- سنة ست وعشرة وخمسمائة..."(١)، وكذلك حين حديثه عن وصول رسولي صاحبي دمشق وحلب إلى مصر لمقابلة الخليفة قال: "وفي هذا الشهر- يعني المحرم- سنة ست وعشرة وخمسمائة..."(٢)، إذن فبجانب ذكره للسنة في كل حادث من الشهر، نجده يذكر اسم الشهر في كل ما يأتي به من جديد الحوادث تنبيهًا وإيقاظًا للقارىء وتأكيدًا.

- ونادرًا ما يذكر حدثًا في الشهر نفسه الذي ذكر فيه أحداثًا أخرى سابقة، ولا يسمي اسم الشهر ولا السنة مجددًا، ويكتفي بقوله: "وفيه" مثلما فعل حين حديثه في ٥١٧هـ/١١٢٣م عن المولد العيسوي، فلم يذكر أنه في شوال، بل اكتفى بذكر "وفيه.."(٣)، والمقصود به شوال الذي أورد فيه الحدث الذي قبل المولد العيسوي والخاص بنقل جبل الرصد.
- ونجد ابن المأمون أحيانًا أخرى يغفل ذكر اليوم والشهر، ويكتفي بذكر السنة فقط مثل حديثه عن السقائين وما تقرر في حقهم من أن عشاءهم على حساب والي القاهرة، ووالي مصر فقال: "وفي سنة سبع عشرة وخمس مائة..."(٤) ولم يُسَمّ اليوم أو الشهر؛ كما نجده أحيانًا لا يُعيد تسمية السنة إذا كان مستمرًا في سرد أحداثها مثلما

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٦٨.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٢.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١١٥: ١١٦.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٦.

يفعل غالبًا، ويكتفي بقوله: "وفي هذه السنة.." أو يقول: "وفيها ..." دون أن يُسميها، كما فعل عند حديثه عن إنشاء ديوان التحقيق ضمن أحداث ٥٠١هـ/١١٠٧م(١).

- وقد يتخذ من المناسبات والمواسم ما يُؤرخ به، مثل اتخاذه من مناسبة عاشوراء تأريخاً فيقول في ٥١٥هـ/١١٢١م : "وفي يوم عاشوراء .. (٢)"، وكذلك يؤرخ بموسم فتح الخليج، فيقول عند ذكره أحداثه من عام ٥١٦هـ/١١٢٢م: "وفي صبيحة هذا الموسم.."(٣).
- وقد يؤرخ ابن المأمون بوقت الصلاة كقوله: "جلس المأمون في داره وقت أذان الفجر.."(٤)، أو يوقت بدخول الصباح، فيقول: "فلما أسفر الصبح..، و"..فلما أصبح الصباح.."(٥)، وأيضًا بالتبكير كما في قوله: "وفي باكر هذا اليوم .." (٦)، وكذلك يُؤرخ بدخول الليل، فيقول: "وفي الليلة التي.." (٧)، أو بانقضاء الليلة ومُضيّها، كأن يقول:".. البارحة.." (٨)، وأيضًا يُؤرخ باستهلال الشهر، كأن يقول:

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٤، ١٢، ١٧.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٢٠.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٩١.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص٣٩.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص٢٦.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص٨٣.
(٧) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٦.
(٨) ابن المأمون: السيرة، ص١٤٤.

"..مستهل رجب.."، " وفي مستهل ذي القعدة .." (١)، أو يُؤرخ بجزء من الشهر كمنتصفه أو آخره، فيقول: "وفي آخر العشر الثاني من شعبان .."، وكقوله: "وفي آخر الشهر .." (٢)، أو يسند التوقيت إلى شخص ذي صفة، كأن يقول: "وفي دولة الأفضل.."، و "..الأيام الآمرية.."، وأيضًا: "وفي وزارة شاور.."، وقوله: "وفى مدة خلافة الحافظ .." (٣).

- وأحيانًا يعبر عن الزمن بما يقاربه، مثل حديثه في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن الخليفة بقوله:".. وقصد المسجد الذي آخر صف المنحر.. بمقدار ما غسل يديه، ثم ركب من فوره"(٤).

وفي استخدام ابن المأمون العديد من الألفاظ المختلفة التي تعبر عن الزمن ما ضبط السيرة ضبطًا زمنيًا متقنًا.

التحديد المكاني وضبط النواحي والبلدان:

- وابن المأمون معني بتحديد الأمكنة أيضًا، فإذا ما تناول حدثًا بالذكر، فإنه يُراعي فيه البُعد المكاني ويذكره، مثل تحديده الأماكن التي يجري فيها الاحتفال بالأعياد المختلفة، كتحديده في ٥١٥هـ/١١٢١م مكان الاحتفال بيوم عاشوراء بأنه يجري في مجلس العطايا من دار الملك بمصر(٥)، وأيضًا ذكره لمنشور

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٠٦، ٣٢.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٥٢: ٦٨.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٤، ١١٥، ٦٦، ٦٧.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص٨١.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص٢٠.

المسامحة بالبواقي بتحديد مكان وضع المنشور بقوله: "..تضمن ذلك منشورًا في الجامعين الأزهر بالقاهرة، والعتيق بمصر"(١).

- لا يقتصر ابن المأمون على تحديد المكان، بل يضبطه بأن يُعّرف بموضعه أيضًا، مثل حديثه في٥١٥هـ/١١٢١م عن عيد النحر، فحدد مكان جلوس الخليفة في هذا العيد، فقال: ".. يجلس مولانا في المنظرة.."، ثم عرف مكان المنظرة بقوله: ".. بين باب الذهب وباب البحر"(٢)، وقوله: ".. يدخل الأحفاد من باب البحر، ثم عرفه بقوله: "وهو الباب الذي يقابل المدرسة..(٣)"، كما أتى بتعريف قصر اللؤلؤة في٥١٦هـ/١١٢٢م فقال: ".. والمطل على الخليج"(٤)، وكحديثه عن حارة السودان التي حدد موضعها بأنها قبالة الحارة المأمونية، ثم أتى بتعريف مكان الحارة المأمونية بأنها: "..التي عند درب الخازن المطل على بركة الفيل..."(٥)، وأيضًا حديثه عن السبيل الذي أمر المأمون بإنشائه، فعرّف موضعه بأنه: "قبالة مشهد السيد محمد الأصغر ومسجد السيدة سكينة.."(٦).

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٤٣.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٣٧.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٤٠.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٥١.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص٩٢.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص٩٦.

واهتمام ابن المأمون بذكر الأماكن والمواضع وضبط النواحي ما يدل على إحاطته بما ينبغي أن يكون عليه المؤلف من مراعاة القارىء، وأن يضعه في موضع التعايش مع الأحداث قدر الإمكان.

الاهتمام بتوضيح معاني الكلمات والمصطلحات:

اهتم ابن المأمون بتوضيح معاني الكلمات والمصطلحات في السيرة، ومن ذلك:

- تعريفه لمصطلح: "الغريبة"، ومتى تستخدم فذكر في٥١٦هـ/١١٢٢م أنها: "..أبواق لطاف عجيبة الشكل، تُضرب كل وقت يركب فيه الخليفة، ولا تضرب قدام الوزير إلا في المواسم خاصة، وفي أيام الخلع عليه"(١).
- كذلك أتى في أحداث عيد النحر من عام ٥١٦هـ/١١٢٢م بذكر "السجادة اللطيفة" التي تفرش للصلاة عليها في العيد، ثم جاء بتعريفها فقال: "..وهي قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جملة حصير لجعفر بن محمد الصادق – عليهما السلام – يُصلى عليهم"(٢)، فجاء بتعريفها وذكر ماضيها.
- في حديث ابن المأمون عن عيد النحر من عام ٥١٦هـ/١١٢٢م ذكر أن الخليفة يرتدي ثياب النحر، ثم أتى بتوضيح ماهية تلك

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٩.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٩.

الثياب فقال: "..وهي البدلة الحمراء بالشدة التي تسمى بـ "شدة الوقار"[١].

- حديثه في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن الاحتفال بفتح الخليج، وفيه ينصب "الثوب الكبير الأفضلي المعروف بالقاتول"، فأتى ابن المأمون بتعريف القاتول، وبسبب التسمية، فذكر بأنه خيمة كبيرة تنصب في وقت الاحتفال بفتح الخليج، وأنه قد تأذى منها جماعة، ومات رجلان، فعرفت بهذا الاسم[٢].

وحرص ابن المأمون على توضيح معاني المصطلحات يُسهل على القارىء الاسترسال في السيرة دونما توقف أمام معاني الألفاظ الغريبة، والذي قد يُصيبه بالضجر.

(الانفرادات):

والسيرة تحوي أحداثًا لم يُشر إليها سوى ابن المأمون، وأخذها عنه معاصروه أو من جاء بعده من المؤرخين وذلك مثل حديثه عن مناقب أبيه، وعن الأعمال التي أحدثها أثناء وزارته، ومن تلك الانفرادات التي سبق إلى تسجيلها ابن المأمون على سبيل المثال لا الحصر:

- حديثه المستوفي في ٥١٥هـ/١١٢١م عن مقتل الأفضل ومراسم الجنازة[٣]، وكذلك حديثه عن نقل نسبة الأمراء من الآمري إلى

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٨١.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٩.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٢١، ٢٩.

المأموني[١]، وأيضًا أعلمنا في ٥١٦هـ/١١٢٢م بأسماء الشيوخ أرباب الوظائف وكذلك أسماء آبائهم وإخوانهم[٢]، وكلامه في ٥١٧هـ/١١٢٣م عن يوحنا بن أبي الليث متولي الديوان[٣]، وما أتى به من حديث عن جراية القصور وما ينفق منها يوميًا أو شهريًا أو سنويًا[٤].

(حرصه على إظهار مناقب أبيه وما انفرد به):

وتُعد السيرة في مجملها تعدادًا لمناقب أبيه الوزير المأمون البطائحي، وما استحدثه من مراسم أو أصدره من قرارات لم يسبقه إليها أحد، ولذا حرص ابن المأمون على إبرازها وتسجيلها في السيرة، واستخدم لذلك من العبارات ما يؤكد ويعكس أن الفضل فى استحداثها يرجع إلى أبيه وذلك نحو قوله:" .. ولم يُسبق إلى ذلك.."[٥]، وأيضًا قوله: "... ولم يتقدمه أحد من الوزراء إلى ذلك.."[٦]، وتعبيره عن ما استُحدث بقوله: ".. مما لم تجر به العادة.."، ومن المناقب والانفرادات على سبيل المثال لا الحصر:

- أنه أول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس في ٥٠٦هـ/١١١٢م[٧]، وابتكر الظروف لمجلس العطايا في

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٣.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٢، ٧٦.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١١١: ١١٥.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢٤، ١٢٦.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص٨٠.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٣.
(٧) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤.

٥٠٩هـ/١١١٥م[١]، وكذلك ما استجده والده في ٥١٥هـ/١١٢١م من بناء المناظر الثلاثة لنزهة الخليفة[٢]، وإصداره الأوامر بمنع شرب الخمور في ٥١٦هـ/١١٢٢م [٣]، وأيضًا من تسجيله لمناقب أبيه قوله أنه يستفتح شهر ذي الحجة بالصيام والصدقات على الفقراء والأيتام[٤]، وحديثه عن ابتكار والده لصنع الحبل المدلى بالجلاجل والأجراس للنظر في المظالم[٥]، وكذلك استصداره أمرًا بأن عشاء السقائين وأجرتهم على والي القاهرة ووالي مصر، وأيضًا ما أصدره من قرار عقب حادثة تأجير دارِ لإقامة العرس بأن من يريد أن يؤجر داره عليه بهدم ما يُمكّن من كشفها أو اعتلائها، وأمره بأن يحضر له بيانًا بأسماء من يودع بالسجون في كل شهر وذلك في ٥١٧هـ/١١٢٣م[٦]، وأنه في ٥١٩هـ/١١٢٥م اختص بمؤاكلة الخليفة دون غيره[٧].

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٨، ١٩.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٧، ٣٨.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٩.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٠.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٠.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص١١٦، ١١٧.
(٧) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٣.

- حرص ابن المأمون على إظهار حب الخليفة للوزير وقربه منه وخاصة أثناء حديثه في ٥١٨هـ/١١٢٤م، إذ كل موكب يحضره الوزير كان يرافقه فيه إخوته وأبناؤه(١).

ويظهر مما سبق أن ابن المأمون وإن تجرد من ذكر الصلة بينه وبين أبيه وذلك بذكره إياه دائمًا باسمه أو لقبه أو وظيفته دون التصريح بلفظ الأب أو الابن، إلا أنه لم يستطع التجرد من إظهار مناقب ومحاسن أبيه، وذلك تلميحًا وتصريحًا، وهذا لا يقدح في ابن المأمون، فله أن يظهر مناقب ومحاسن أبيه، فهذا هو المنطقي، بل من يفعل ذلك إذا لم يفعله الابن لأبيه.

تدوينه للأحداث وتفسيرها:

ابن المأمون لا يذكر جميع الأحداث التي حدثت في السنة الواحدة كما وصل إلينا من سيرته، فقد ذكر من الأحداث ما هو أكثر من ذلك، لكن من حفظ لنا تاريخه من المؤرخين لا يذكر من تلك الأحداث إلا ما انتقاه واقتبسه، فقد يكون تاريخه مكملاً للسنوات الساقطة أو الأحداث الناقصة في السنوات المذكورة، ولكن من اقتبس من تاريخه اقتبس منه على قدر حاجته، ومما يُعضد ذلك قول ابن المأمون في بداية حديثه عن ٥١٥هـ/١١٢١م :"وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ٥١٥هـ... (٢)" مما يدل على أنه قد استهل السنة

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٠.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٠.

بأحداث أخرى مفقودة؛ لم يحفظها لنا المقريزي أو غيره ممن اقتبس عن ابن المأمون.

وقد عُني ابن المأمون على مدار سيرته ليس فقط بذكر الأحداث التاريخية، بل بتفسيرها أيضًا، والكشف عن أسبابها، ويذكر ما ترتب عليها من نتائج، وهو يتتبع الحدث من أوله إلى منتهاه، ويسترجع ماضيه، ويأتي على حاضره، ويذكر ما تم حياله من إجراءات، ويقوم بالتعليل لما يذكره، وأحيانًا يأتي بتعليقات على الأحداث المذكورة، ومن الأدلة على ذلك:

- حديثه في ٥٠١هـ/١١٠٧م عن نقل السنة الشمسية إلى العربية، وذكره السبب الداعي إلى ذلك بأنه قد حدث تفاوت بينهما بأربع سنوات، ثم ذكر ما تم في هذا الحدث من إجراءات من حديث المأمون مع الأفضل حول ذلك، ثم صدور الأمر بنقل السنة(١).
- أيضًا ما كان من حديث في ٥٠١هـ/١١٠٧م عن اختلال وتضرر رجال العسكرية والمقطعين، فذكر السبب أنه لقلة المتحصل من الأموال التي تأتي من تلك الإقطاعات، وأتى بذكر ما كان من إجراءات اتُخذت تمثلت في حل الإقطاعات جميعها وترويكها(٢)، ثم ذكر ما ترتب من نتائج على ذلك بوقوع الزيادة في الإقطاعات

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٤، ١٠.

(٢) الروك: مصطلح أطلق على عملية مسح الأراضي الزراعية، وفك زمام، وتعديل الخراج."حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع، ص١٠٤".

الموزعة على الأجناد، وصدور الأمر ببقائها في أيدي أصحابها ثلاثين سنة، وأن الأجناد طابت نفوسهم(١).

- ومما يظهر تتبعه للحدث وما ترتب عليه من أمور أو مستجدات، حديثه في ٥٠٦هـ/١١١٢م عن سد أبي منجا، والنفقات التي أنفقت عليه، ثم أعقب ذلك بذكره المشاكل التي جرت بين أبي المنجا، وبين يوحنا بن أبي الليث بسبب تلك النفقات، وأوضح نهاية الصدام بينهما أن آل الأمر إلى اعتقال أبي المنجا، ونفيه إلى الإسكندرية(٢)، فما يسرده ابن المأمون يأتي فيه بتفصيله، وإيضاحه، وذكر أسبابه، وأضراره، ومنافعه، وما ترتب عليه من نتائج.
- ومما يدل على أن ابن المأمون لا يدع ذكر الحدث الذي أتى به حتى يوضح لنا نهايته، حديثه في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن رغبة يانس(٣) بناء مسجدٍ له، وأن طلبه قوبل بالرفض، ثم ذكر أن يانس بعد القبض على المأمون في ٥١٩هـ/١١٢٥م شرع في بناء مسجد، ثم يستكمل ابن المأمون الحدث ولا يتركه عند

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠، ١١.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤.

(٣) يانس: أبو الفتح يانس الحافظي، ولقبه أمير الجيوش، استوزره الحافظ بعد مقتل أحمد بن الأفضل في ٥٢٦هـ/١١٣١م، فظهر شيطاناً ماكرًا، حتى خاف منه الحافظ، فتحيل عليه، وقيل: سمَّه، فمات يانس في ٥٢٦هـ/١١٣١م، وكانت وزارته أحد عشر شهرًا."الذهبي: تاريخ الإسلام، م١١، ص٤٤٣، ٤٤٤".

٥١٩هـ/١١٢٥م، بل يذكر تمامه، حيث قال: أن يانس توفي قبل إتمام المسجد، وقد أكمله أولاده من بعده(١).

- ومما ذكره من أحداث، واتبعه بذكر رد الفعل عليه ما كان في ٥١٧هـ/١١٢٣م من منشور المسامحة بأُجرة شهر رمضان الصادر من الخليفة، فذكر ردة الفعل حيال ذلك من فرح عامة الناس، ولهج ألسنتهم بالدعاء، وتنظيم الشعراء قصائد المدح حول ذلك(٢).
- ومن تعقب الحدث واستكماله أنه في ٥١٧هـ/١١٢٣م بعد إيراده نص مرافعة الشكوى ضد يوحنا بن أبي الليث وما ذُكر فيها من رصد التجاوزات التي نص عليها رافع الشكوى، استكمل ابن المأمون بصياغته باقي الحدث، وذكر أن رافع الشكوى أكثر من القول في الراهب وإخوته وأهله، وطلب القبض عليهم، وأنه أوجب على نفسه أن يثبت مخالفاتهم في الأموال، ثم أوضح ابن المأمون أن الخليفة الآمر لم يستجب لما في هذه المرافعة أولاً، ثم تعاقبت السنون وزادت الشكوى من الراهب، فأمر المأمون بقتله(٣).
- كذلك من ذكره الحدث وما ترتب عليه من نتائج ما ذكره في ٥١٧هـ/١١٢٣م من حديثه عن العرس الذي تسوّر فيه مُلاك الدار أسوارها واطلعوا على النساء فيها، فقد ذكر أنه ترتب على

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٥١، ٥٢.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٠، ١١١.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٥.

ذلك أن أمر المأمون بأن من له دار ويريد تأجيرها؛ فعليه بإزالة ما يمكّنه من كشفها، وإن لم يلتزم ذلك فلن يمكّن من تأجيرها(١).

- ومن الأحداث التي ذكرها وذكر فيها ماضيها وحاضرها ما أورده من كلام على الأحباس الجيوشية في أحداث ٥١٨هـ/١١٢٤م، وأوضح أن المقصود بالأحباس هذه البساتين المختصة بالورثة الجيوشية، وأتى على حالها أيام المأمون، والأيام الآمرية بأنها ظلت في أيديهم، ثم في أيام أبي علي بن الأفضل استعاد تلك الأحباس، ثم ذكر حالها أيام الحافظ الذي أمر بضمها إلى أملاك الديوان الحافظي(٢). إذن فلأن الحدث ممتد، فقد حرص ابن المأمون على تتبع ماضيه وما آل إليه.
- يتضح مما سبق أن ابن المأمون حينما يبدأ الحديث عن أمر ممتدة أحداثه أو نهايته لأعوام تالية، فإنه يأتي بمحتوى السنوات التالية في السنة التي يتعرض فيها لذكر الحدث عند بدايته، وذلك ليوضح للقارئ مبدأ الحدث ونهايته وقت التعرض له، بدلاً من أن ينسى القارئ إذا ما قرأ بداية الحدث في عام، ويُقطع بأحداث أخرى غير متعلقة به، ثم يعود فيأتي بباقي محتواه في الأعوام التالية، فهذا يجعل الحدث مجتزءًا، ويتوه القارئ فيه وينساه، ويحتاج لوقت لاسترجاعه، أو أن يرجع بصفحات الكتاب إلى الوراء، وذلك مثلما فعل في حديثه عن المرافعة ضد يوحنا بن أبي الليث، وما آل إليه أمره من قتله.

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٧.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤١، ١٤٢.

(التعليلات):

وتكثر التعليلات في سيرة ابن المأمون، مما زادها إيضاحًا وتفسيرًا، ومن ذلك:

- علل في ٥٠١هـ/١١٠٧م لسبب التحاق المأمون بخدمة الأفضل، لتغير الأفضل على مولاه تاج المعالي(١).
- علل في ٥١٦هـ/١١٢٢م لبناء دار ضرب النقود بالقاهرة، "..لكونها مقر الخلافة وموطن الإمامة"(٢)، كذلك علل لإنشاء دار الوكالة حتى تكون سكنًا: ".. لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار"(٣).
- وعلل للغرض الذي من أجله أحدث المأمون الجلاجل للنظر في المظالم في٥١٦هـ/١١٢٢م بأن القصد أنها لمن وقع عليه ظلم من أهل الستر، أو كانت امرأة ولا تحب أن تظهر، أو يجب الفصل فيها ليلاً لضرر يقع إذا انتظر صاحبها النهار(٤).
- ومن تعليله في ٥١٧هـ/١١٢٣م لنقل المأمون مكان الرصد إلى مكان آخر قوله عن المكان الأول: ".. لأن عهده قدم وتغيرت حركاته"(٥).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٣.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٧.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٨.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٠.

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٥.

- وعلل سبب إسناد المأمون أُجرة عشاء السقائين إلى الوالي في٥١٧هـ/١١٢٣م بأنه: ".. بحكم فقرهم"، وأيضًا في السبب الذي من أجله طلب المأمون بيان بأسماء المودعين في السجون بأنه ".. بلغه أن بعض الولاة يعتقل من لا يجب عليه اعتقال، لطلب رشوة"(١).
- تعليله في ٥١٨هـ/١١٢٤م لتصرف الوزير رضوان بن الولخشي في إعادته بساتين الأفضل على ورثته لأن: ".. أمرها آل إلى الاختلال ونقص المرتفع منها"(٢).

(التعليقات):

لم يكتف ابن المأمون بإيراد الحدث وأسبابه ونتائجه، بل أثبت في بعض المواضع تعليقاته على بعض الأحداث، مثال ذلك:

- قوله في ٥١٦هـ/١١٢٢م معلقًا على أن الخليفة كان إذا صعد المنبر لخطبة عيد النحر بأنه يشير إلى القاضي ليصعد إليه، ثم يشير القاضي إلى الوزير بالصعود، ثم رأى الخليفة أن ذلك نقص في حق الوزير، فجعل الإشارة إلى الوزير بالصعود من الخليفة وعقب صعوده مباشرة، فقال ابن المأمون في تعليقه الذي يبرز فيه ما حازه أبوه المأمون من مزية، وما اعتلاه من مكانة عند الآمر: ".. فجعل الإشارة منه إليه أولاً، ورفعه عن أن يكون مأمورًا مثل

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٧.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٢.

غيره، وجعلها ميزة له على غيره ممن تقدمه، واستمرت فيما بعد"(١).

- تعليقه على تجهيزات منظرة السكرة أثناء الاحتفال بموسم فتح الخليج من عام ٥١٧هـ/١١٢٣م بأنها: ".. مبالغة في فرشها وما تحتويه"(٢).
- حسه الجمالي في ٥١٨هـ/١١٢٤م حول تعليقه على لباس الخليفة المسمى بشدة الوقار، فقد أبدى ابن المأمون إعجابه به وبما تُظهره من وقار فقال: ".. التي تذهل الأبصار"، ".. وعند لباسها يتحقق لها الاسم ويُتجنب الكلام ويُهاب"(٣).
- ومن تصويره مواطن الجمال في ٥١٨هـ/١١٢٤م تعليقه على منظرة السكرة بقوله : ".. وهي من جنات الدنيا المزخرفة"(٤).
- أيضاً من تلمّسه لمواطن الجمال وتعليقه المعبر عن إعجابه بالصواني التى تحوي الطعام في الاحتفالات واصفًا إياها في٥١٨هـ/١١٢٤م بأنها: ".. الجامعة للثروة من كل جهة، والزينة من كل معنى، والغربة من كل صنعة، وقد جمعت ملاذ جميع الحواس"(٥).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٢.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١١٩.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٣٣.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٣٦.

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ١٣٨.

(الإحصاء والعمليات الحسابية):

اهتم ابن المأمون في سيرته بالإحصاء، وذكر الأعداد والأرقام، وكذلك رصد تعدد النوع، والقيام بعمليات الحصر والجمع والطرح إلى غير ذلك من العمليات الحسابية، وهو في ذكره للأرقام يذكرها بالكتابة العربية، وليس بالأعداد الحسابية، نحو قوله: ".. اثنتا عشرة، .. ثمانية عشر، .. مائة"(١).

- ومن أمثلة الإحصاء والعدد ذكره عن جنازة الأفضل أنه أُخرج لها: ".. ثلاثون بخورًا .. وخمسون مثقال.. عود"(٢)، ونحو إحصائه لمقدار ما يُفرق في عيد النحر من عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م بـ ".. ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعين دينارًا"(٣).
- لم يقتصر الإحصاء على العدد فقط، بل كان يحصي النوع أيضًا، مثل إحصائه أنواع الذبائح في عيد النحر من عام ٥١٥هـ/١١٢١م بأنها من النوق والبقر والجاموس(٤)، ومثله ذكره ما اشتملت عليه الساقية من محاصيل النخل والكرم وقصب السكر(٥).
- ومن العمليات الحسابية التي قام بها في سيرته إجراؤه لعملية الطرح في حديثه عن كسوة شتاء عام ٥١٦هـ/ ١١٢٢م، فذكر

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٨١، ٨٢.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٩.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٨.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٨.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٤، ٤٥.

مقدار المنفق فيها، ثم ذكر مقدار المنفق على الكسوة في ٥١٣هـ/١١١٩م فى عهد الأفضل، ثم طرح هذا من هذا، وكتب الناتج الذي هو مقدار ما زاد في عهد المأمون عما كان في عهد الأفضل(١).

- وهو دقيق في ذكر أرقامه الحسابية وإحصاءه لها حتى إنه يذكرها بالربع والسدس كقوله في٥١٦هـ/١١٢٢م عن الإنفاق في أسمطة عيد النحر: ".. دينار وربع وسدس دينار"(٢).
- كذلك أجرى عملية الجمع وإخراج النتائج، كما فعل حينما تحدث عن مقدار الإنفاق الثابت على مدار السنة، ووجوه الإنفاق في أحداث ٥١٧هـ/١١٢٣م فذكر مبلغه، ثم استثنى من هذا المبلغ المقدر بعض وجوه الإنفاق التي تستجد وغير داخلة في النفقات الثابتة، وذكر مبلغها .. ثم جمع الأصل الثابت على المستثنى وذكر جملته عامة(٣).
- لا يذكر ابن المأمون شيئًا يتحدث عنه إلا إذا كان لديه سجل أو إحصاء رسمي، ولذا لم يذكر كتّاب ديوان الإنشاء بأسمائهم حين حديثه عن تفرقة كسوة العيد في أحداث ٥١٦هـ/١١٢٢م، وبيّن أن السبب في عدم ذكرهم هو أنه لم يكن لديه حساب فيه أسماؤهم لكي يُذكروا(٤)، وحقًا حينما أتى ابن المأمون لذكر كتّاب ديوان

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٨.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٨٢.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٢٢.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٤.

الإنشاء ذكرهم بوجه عام دون إيراد أسمائهم، وقال: إن ما يختصهم من الكسوة قد ذكره قياسًا على من سبق ذكرهم في أمر الكسوة، فهم مثلهم.

- وعند عدم تأكده من الأرقام الوارده، تجد في كلامه ما يدل على ذلك، كحديثه في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن مقدار النفقات على أسمطة شهر رمضان، وأنها تناقصت في وزارة شاور حتى أصبحت تقدر "..بثلاثة آلاف وأربع مائة وخمسة وتسعين دينارًا ونصف.."، ثم قال:"..والله أعلم"(١).

- وإذا ما تعذر الإحصاء عند ابن المأمون، فإنه يذكر ذلك، ودليل ذلك أنه حينما تحدث عن مقدار البخور المرصود للمواكب في أحداث ٥١٧هـ/١١٢٣م قال عنه: ".. ند خاص جملة كبيرة لم تتحقق فتذكر"(٢)، وفي هذا دليل على أن ما ذكره بمقدار وأعداد كان عن إحصاء صحيح.

- ومما أحصاه بالتقريب ما كان من التوسعة المطلقة برسم الحاشية، والأمراء، وصدقات الأقوات، والفطرة، والكسوات المختصة بالغُرة والعيد، فقُدرت في ٥١٦هـ/١١٢٢م بنيف وستين ألف دينار، ثم قال عن هذا المبلغ: ".. هذا على سبيل التقدير"(٣).

- وأيضًا قد يستخدم التقريب إذا ما تعذر الإحصاء، فحينما تعذر إحصاء عدد أصحاب وظيفة؛ فإنه ذكره بالتقريب إلى أصحاب وظيفة أخرى، مثل قوله في٥١٦هـ/١١٢٢م: ".. وعدة الذين

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٦٦.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢٥.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٦٥: ٦٦.

يقبضون الكسوة في العيد من الفراشين أكثر من صبيان الركاب"[١].

(منهجه في التراجم):

لا يوجد في سيرة ابن المأمون تراجم صريحة للأشخاص الوارد ذكرها، وإنما يتعرض لبعض المعلومات عن الأشخاص الوارد ذكرهم في الأحداث عرضًا، فلا يُفرد في سيرته تراجم صريحة إلا في موضع أو اثنين، وقد اتحدت تلك المعلومات في ذكر اسم صاحب الترجمة – ولقبه – ووظيفته – وكنيته، واختلفت المعلومات الواردة عنهم بحسب ما توافر له، ولعل مرد ذلك إلى أن كتابه لم يكن رصدًا أو ترجمة لأشخاص بقدر ما هو سيرة حياة أبيه الوزير ومناقبه، فما اشترك من الشخصيات مع أبيه في الأحداث فإنه ذكره ببعض المعلومات.

الألقاب العلمية والدينية والصفات:

اعتنى ابن المأمون بذكر الألقاب العلمية والدينية والصفات لمن أتى بذكر أسمائهم، كقوله: ".. الشيخ ..[٢]، وكذلك ".. المظفر الأجل.."، و ".. الأجلاء[٣].."، وأيضًا: "..الفقيه.."[٤]، و".. القائد .." [٥]، و".. الأفضل..[٦]".

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٦.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٥، ٢٧.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٩، ٣٥، ٥٧.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٨، ١١٨.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص٤.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص٣.

اللقب:

يذكر ابن المأمون لقب المترجم له، وذلك نحو قوله: ".. نور الدين.." (١)، و".. مجد الدولة.." (٢)، و".. تاج الرئاسة.." (٣)، و".. ظهير الدين.." (٤)، و".. مكين الدولة.."(٥).

الكنية:

وتبدأ بـ "أبو"، مثل: "..أبو عبد الله .."(٦)، و".. أبو البركات.. (٧)، أو "أبا"، كقوله: "..أبا الحسن.." (٨)، و"..أبا محمد..(٩)"، وكذلك "أبي"، كقوله:"..أبي الليث..(١٠)"، و"..أبي القاسم.."(١١).

الاسم:

ويأتي الاسم عند ابن المأمون بعد الكنية مباشرة، وقد أورد اسم أبيه في السيرة خماسيًا فقال: "..أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدين بن

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٣، ١٨.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٣.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٧٣.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٥.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٠.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص ٥.
(٧) ابن المأمون: السيرة، ص ٤.
(٨) ابن المأمون: السيرة، ص ٤.
(٩) ابن المأمون: السيرة، ص ٣.
(١٠) ابن المأمون: السيرة، ص ٤، ١٠.
(١١) ابن المأمون: السيرة، ص ٣، ٥.

أبي شجاع فاتك بن الأمير مجد الدولة أبي الحسن مختار بن الأمير أمين الدولة أبي علي حسين بن تمام المستنصري.."[١]، وقد يذكر الاسم ثلاثيًا كقوله:.. أحمد بن مفرج بن سابق.." [٢]، وأحيانًا يذكر اسم المترجم ثنائيًا كقوله: "..الأفضل أبي القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر المستنصري"[٣]، وأحيانًا أخرى يذكر اسم المترجم له أحاديًا مثل قوله: "أبى تراب حيدرة، وأبي الفضل جعفر..."[٤]، أو يذكره أحاديًا بجانب ذكر وظيفته أو لقبه دون ذكر الأب أو الجد نحو قوله: "..حسام الملك أفتكين صاحب الباب.."[٥]، و".. خاصة الدولة ريحان.." [٦].

اسم الشهرة:

قد يشتهر المترجم له بغير اسمه الأصلي، فيورد ابن المأمون اسم الشهرة، مسبوقًا بقوله: "..المعروف بـ .." ولم يرد هذا عند ابن المأمون في سيرته إلا مرتين، إحداهما: لأبيه، إذ بعد ما أورد اسمه كاملاً قال: ".. المعروف بـ "المأمون بن البطائحي.."[٧]، والثانية: كانت عند الحديث عن

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٣.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٤.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٣.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٣.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٦.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٩.
(٧) ابن المأمون: السيرة، ص ٣.

القصار وتشبيهه بالحلاج[١]، والحلاج هذا هو ما عُرف به الحسين بن منصور[٢].

الموطن:

أحيانًا ينسب ابن المأمون من يتحدث عنه إلى موطنه مثل قوله: ".. المأمون البطائحي.." [٣]، وقوله: ".. جلال الملك أبو الحجاج يوسف بن أيوب المغربي.." [٤].

الوظائف:

دائمًا ما يتبع ابن المأمون اسم الشخص بذكر وظيفته التى يتولاها كقوله: ".. أمير الجيوش[٥].." [٦]،

(١) الحلاج: الحسين بن منصور، ادعى أن له كرامات، وخوارق، ومعجزات، فانتشر أمره، وتفرق دعاته، إلى أن أمر المقتدر بالقبض عليه، فحُبس، وعُذب، إلى أن مات. "التنوخي، المحسن بن علي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٦، ص٧٩، ٩١".

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٨٦، ٨٧ .

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٢.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٨.

(٥) أمير الجيوش: كان هذا اللقب لقبًا عامًا على صاحب ولاية دمشق، وقد أطلق على بدر الجمالي لما حضر من دمشق إلى مصر، ثم صار يُطلق على خلفائه من بعده، وقد تطور هذا اللقب نهاية العصر الفاطمي إلى سلطان الجيوش. "حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٩٠، ١٩٢.

(٦) ابن المأمون: السيرة، ص ١، ٥.

و".. قاضي القضاة[١].." [٢]، و"صاحب الديوان[٣].." [٤]، و".. صاحب الباب[٥].." [٦] و".. متولي بيت المال[٧].."[٨].

تاريخ الوفاة:

يذكر ابن المأمون أحياناً سنة الوفاة فقط لمن يتناوله بالذكر، مثلما فعل حينما أتى على ذكر وفاة نور الدين أبي شجاع جده ووالد الوزير

(١) قاضي القضاة: تعني رئيس القضاة وكبيرهم، وجدت هذه الوظيفة في عهد العزيز الفاطمي، وكان مقره القاهرة، وفي عهد الوزير الأفضل عُين لكل مذهب قاضي قضاة. "زين العابدين شمس الدين نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ط١، دار الزهراء، مصر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٤١٤.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٠، ٤٥.

(٣) صاحب الديوان: مصطلح يُطلق على متولي الديوان كديوان الإنشاء أو ديوان الخاص وسواهما، ويرأس من فيه من كتاب وغيرهم. "حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع، ص١٣٤".

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤.

(٥) صاحب الباب: ثاني رتبة بعد الوزارة، ويقال لها: الوزارة الصغرى، ووظيفته أن ينظر في المظالم إذا لم يكن أحد يتولاها من أرباب السيوف، فإن كان هناك من أرباب السيوف من يجلس للنظر في المظالم؛ فيصبح صاحب الباب من جملة من يقف بخدمته." القلقشندي: صبح الأعشى، طبعة مصورة عن الخدوية، ج٣، ص٤٨٣".

(٦) ابن المأمون: السيرة، ص ٢١، ٢٦.

(٧) متولي: هو المدير القائم على الأمر. "حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع، ص١٩٩"، فيكون المعنى القائم على أمر بيت المال.

(٨) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٦.

المأمون البطائحي، وذكر سنة الوفاة فقط وهي ٥١٢هـ/١١١٨م[١]، وكذلك ذكر سنة وفاة كل من بركات والقصار في ٥١٧هـ/١١٢٣م[٢].

وأتى ابن المأمون بذكر لحظة الوفاة أكانت ليلاً أم نهارًا وذلك في حق الأفضل فقط الذى ذكر أنه توفي ليلة عيد الفطر ثم ذكر السنة وهي عام ٥١٥هـ/١١٢١م فذكر اليوم والشهر والسنة[٣]، كما ذكر أيضًا مقتل أبيه المأمون وعمه حيدرة بلحظة الوفاة، فكانت "ليلاً"، وتاريخ الليلة "..العشرين.."، والشهر ".. من رجب.."، والسنة " ٥٢٢هـ/١١٢٨م"[٤].

عمر المتوفي حين وفاته:

وهذه أيضًا اقتصر ابن المأمون في ذكرها على الأفضل فذكر أن عمره يوم مات كان سبعًا وخمسين سنة[٥].

ذكر سبب الوفاة:

ذكر ابن المأمون سبب وفاة كل من الأفضل وأبيه وعمه، والسبب متحد في الثلاثة وهو القتل[٦]، لكنه لم يذكر سبب مقتل الأفضل، بينما ذكر السبب الذي من أجله قتل أبوه وعمه بأن الخليفة الآمر خشي من المأمون وحيدرة بعدما ولي الأخير على الإسكندرية، وأورد ابن المأمون قول الآمر

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٧.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٨٨.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٧.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٤.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٩.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٢.

في سبب قتله أباه وعمه، فقال على لسان الآمر: "...وقد تلونت أحوال المأمون وبالغ في عقوقنا بأشياء لا يتسع لنا ذكرها.."[١]، كما تحدث عن مقتل كل من بركات والقصار[٢].

مكان الوفاة:

وما ذكره ابن المأمون فيما يخص أماكن وفاة من ذكر وفاتهم اقتصر أيضًا على الأفضل والمأمون وأخيه حيدرة، أما الأفضل فقد ذكر عن مقتله أنه قد وثب عليه أربعة نفر في الطريق بالقرب من دار الوزارة فطعنوه، فحُمل إلى الموضع المعروف باللؤلؤة حتى مات من أثر الطعن[٣]، وأما المأمون وحيدرة فقد قتلا في قصر الخليفة الآمر على أثر حيلة دبرها لهما[٤].

مكان صلاة الجنازة:

وكان ذكر مكان الصلاة على الجنازة من نصيب الأفضل وحده، إذ ذكر ابن المأمون أن الأفضل تمت الصلاة عليه في وسط إيوان القصر[٥].

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٣.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٨٨.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٢.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٤.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٨.

مكان الدفن:

وانفرد الأفضل أيضًا باستكمال ابن المأمون لمراسم تشييع جثمانه فذكر أن الأفضل بعد الصلاة عليه ".. نزل التربة ظاهر باب النصر.."(١).

أقارب المترجم له:

أحيانًا يأتي ابن المأمون بذكر أبناء من يتناوله بالذكر من الشخصيات، وممن ذكر أبناءه كان الوزير الأفضل، فعقب مقتله ذكر أن أبناءه اجتمعوا بأنصارهم للثورة في طلب الوزارة لأخيهم الأكبر، فقبض عليهم الآمر(٢)، وكذلك ذكر زوجة الأفضل وإخوته(٣).

أيضًا بالطبع ذكر ابن المأمون أبناء الوزير الثلاثة وإخوته، فعدهم بأسمائهم، وكان ابن المأمون أحدهم، وقد أتى ابن المأمون على ذكر نفسه وإخوته في عدة مواضع من السيرة(٤).

وتناول ذكر أسماء أرباب الوظائف والذين كان يطلق عليهم نعت "الشيوخ"، مع ذكر آباءهم وإخوانهم حينما تحدث عن تفرقة كسوة العيد على مستحقيها(٥).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٨.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٤.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٦.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٣.

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٣، ٧٤.

ميراث المترجم له:

عقب حديث ابن المأمون عن وفاة الأفضل، ذكر ما تركه الأفضل من الخزائن، وأن الخليفة الآمر أمر المأمون البطائحي أن يقوم إلى تلك الخزائن فيفتحها، ففعل، وأحضر ما فيها إلى الخليفة الآمر الذي سر بما رآه سرورًا كبيرًا وشكر المأمون على أمانته(١).

السجايا والصفات:

نادرًا ما يورد ابن المأمون حديثًا عن صفات أو سجايا الشخصيات التي ورد ذكرها، وقد اختص أباه بذكر ما كان عليه من طيب الصفات من حيث الاهتمام بأمور الرعية ولين جانبه ومسامحته أرباب الديون، وما كان له من بر وصدقات، وما كان عليه من الصوم والعبادة(٢).

أما سيء الصفات فكانت بالطبع من نصيب أشخاص أُخر غير أبيه، ومن ذلك الظلم والقسوة والطمع في الأموال والتبجح الذي وصف به ابن المأمون صاحب ديوان المجلس يوحنا ابن أبي الليث(٣)، وكذلك عن ظلم وعسف ذخيرة الملك والي القاهرة(٤)، وكذلك حديثه عن كل من بركات والقصار، والحلاج(٥)، وأيضًا وصفه للخليفة الحافظ بالمستبد(٦).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٦.
(٢) ابن المأمون: انظر السيرة، ص٨٠.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٦، ١٧.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص٨٥: ٨٩.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٢.

ذكر المذهب والديانة:

ورد ذكر مذهب المترجم له عند ابن المأمون في موضع واحد فقط يخص والده الوزير المأمون البطائحي، فبعد أن ذكر اسمه كاملاً أتبعه بقوله: "..الإمامي الشيعي.." (١).

وأما الديانة فقد ذكر ابن المأمون في موضعين ديانة اثنين من الشخصيات التي مر ذكرها في سيرته، أحدهما: أبو منجا، فذكر أنه يهودي الديانة(٢)، والآخر: يوحنا بن أبي الليث، أتبع ابن المأمون ذكر اسمه بذكر ديانته معبرًا عنها بقوله: ".. النصراني.."(٣).

علاقة المترجم له بالخلفاء:

ابن المأمون في ترجمته لوفاة والد المأمون ألقى الضوء على ما كان من قربه من الخليفة ملمحًا غير مصرح، إذ قال أنه عند وفاته: ".. خرج الخليفة وصلى عليه.."(٤)، ففي هذا ما يدل على العلاقة الطيبة بينهما.

وعلى مدار السيرة يبرز ابن المأمون ويوضح في مواضع عدة قرب والده الوزير المأمون من الخليفة المستنصر أولاً ثم من الخليفة الآمر، خاصة هذا الأخير، ودليل طيب العلاقة بين المأمون والخليفة المستنصر ما أورده ابن المأمون من حديث حول قصة نعت المستنصر

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٣.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٤.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٧.

لوالده بالمأمون في قوله: " .. هذا المأمون دون الجماعة.."، تلك الجملة التي كررها الخليفة الآمر بعد مرور السنين حينما سلم المأمون للآمر ما في خزائن الأفضل من كنوز عقب وفاته فقال له:" .. والله إنك المأمون حقًا مالك في هذا النعت شريك."(١)، وكذلك دليل حسن العلاقة والقرب والود بين الخليفة الآمر والمأمون ما كان من الحديث الذي أورده ابن المأمون والخاص بعرض الخليفة الوزارة على المأمون وامتناعه أولاً، ثم موافقته بعدما اشترط على الخليفة عدة شروط أجابه إليها، وقول الخليفة له: ".. لا كان لي وزير غيرك.." (٢).

إلا أن دوام الحال من المحال، فتبدلت العلاقة الحسنة إلى جفاء وخشية كلا الطرفين من الآخر، واتهام الخليفة الآمر للمأمون بالعقوق والتلون أدى إلى تدبيره على وزيره، وانتهى الأمر بالقبض عليه في ٥١٩هـ/١١٢٥م وقتله وأخيه في ٥٢٢هـ/١١٢٨م(٣)، فبيَّن ابن المأمون ذلك.

- وهو في ترجمته عرضًا للأشخاص الذين يتناول ذكرهم في سيرته، اطلعنا على معلومات لم تذكرها لنا كتب ومصادر التاريخ من قبل، مثل: حديثه العرضي الذى تناول فيه الكلام أبو بكر الطرطوشي، ولقائه بوالي الإسكندرية(٤)، وكلامه عن القاضي

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٦.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٥.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٣، ١٤٤.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٥.

الرشيد ابن الزبير أنه تولى الإشراف على الصعيد الأعلى[١]، وكذلك حديثه عن قاضي مصر جلال الملك[٢]، إلى غير ذلك من الشخصيات التي أرخ لها، فأصبح ما دوّنه عنهم تراجم لهم.

- ابن المأمون كما ورد لا يتحدث عن المأمون أبدًا باعتبار الصلة بينهما (أبيه) ولا يذكره أبدًا إلا إما باسمه مجردًا، أو بلقبه، كقوله: "الأجل" [٣]، أو بوظيفته نحو قوله: "القائد"[٤] وقوله: "الوزير"[٥]، أو بكنيته مثل قوله: "أبو عبد الله"[٦]، أو بنعته فيقول: "المأمون"[٧] أو يذكره بـ "المملوك .."[٨]، فيشعر القارىء للسيرة أن ابن المأمون لا يتحدث عن أبيه، بل عن شخص الوزير بصرف النظر عما يجمعهما من صلة، وفي هذا موضوعية تامة.
- لم يقتصر فعل ابن المأمون هذا على أبيه فقط، بل تعداه إلى أعمامه الذين هم إخوة الوزير المأمون، فحينما يأتي على ذكرهم في السيرة فإنه يذكرهم باعتبار نسبتهم إلى المأمون كأن يقول في ذهابهم إلى السد "... وذهب أبو عبد الله محمد بن فاتك وجميع

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٠.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٠١.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٥١.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٥، ١٠، ٢٥.

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٥، ٦٠، ٦٢، ٧٨.

(٦) ابن المأمون: السيرة، ص ٣، ٥، ٣٢.

(٧) ابن المأمون: السيرة، ص ١٣٣.

(٨) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٧.

إخوته..."[١]، ولم يذكرهم ابن المأمون باعتبارهم أعمامه، وحينما ذكر تولي أبي تراب حيدرة أعمال الإسكندرية فقد ذكره ابن المأمون بلقبه واسمه ثم نسبته إلى الوزير، قائلاً: ".. أخي الوزير المأمون"[٢] وكأنه لا صلة بينه وبين المتحدث عنه.

- وكذلك يفعل ابن المأمون حين حديثه عن إخوته بل وحتى نفسه، فيتحدث عن نفسه وعن إخوته باعتبار صلتهم بالمأمون فيقول: "أولاده" مثلما فعل حين حديثه عن كسوة العيد من عام ٥١٦هـ/١١٢٢م فقال: ".. ما حمل برسم السيد الأجل المأمون.. وما هو برسم أولاده.."، ومثله ما كان من حديثه عن كسوة موسم فتح الخليج[٣]، حتى إنه في موضعين من السيرة ذكر ابن المأمون إخوته وهو منهم ونعتهم بـ "الأجلاء"، في قوله ".. ونزل الوزير المأمون بالأجلاء أولاده.." [٤]، وكقوله عنهم جميعًا: ".. وتقدمت الأجلاء الإخوة والأولاد.." [٥]، وليس هذا منه على سبيل الكبر، ولكنه يسرد أحداث السيرة دون النظر إلى نفسه أو القرابة بينه وبين أبطال سيرته.
- وابن المأمون وإن كان على مدار السيرة لم يتحدث عن أبيه أو إخوته أو أعمامه باعتبار صلة القرابة فكان في هذا ملتزمًا

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٣، ٧٧.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٦.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٩٣.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٧.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٠.

للموضوعية والحياد الشديدين، إلا أنه لم يستطع التجرد كلية – حتى ولو لم يذكر الصلة صراحة – فنراه على مدار السيرة يبرز مناقب ومحاسن أبيه، ويظهر ذلك في ثنايا حديثه دون تصريح، وهو واضح عنده فيما يورده من المقارنات التي عقدها بين ما أضحى أيام الأفضل، وما أصبح عليه الوضع أيام المأمون أبيه، وكذلك يتضح عند حديثه عن مراسم تولي أبيه الوزارة وما خلع عليه بهذه المناسبة، وهذا أمر منطقي ليس بمستغرب، فمن يفعل هذا ويبرز محاسن أبيه إن لم يفعل هو.

(وضوح النزعة الدينية، واستخدام عبارات التضرع والدعاء):

ظهرت النزعة الدينية عند ابن المأمون في عدة مواضع من سيرته، منها:

- استشهادة بالعديد من آيات القرآن الكريم.
- نسبته هزيمة ملك الفرنج، وانتصار الفاطميين عليه في ٥٠٩هـ/١١١٥م إلى الله عز وجل، وأن مآل ملك الفرنج إلى النار فقال: ".. فأخذه الله سبحانه وتعالى وعجل بنفسه إلى النار"(١).
- استخدامه عبارة الدعاء لكن بالسلب، نحو قوله في ٥١٠هـ/١١١٦م عن جعفر ذخيرة الملك والي القاهرة بعدما وصفه بالظلم والعسف: ".. عجل الله له ما قدمه"(٢).

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٥.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٧.

- إسناد العلم إلى الله، عندما ذكر في٥١٦هـ/١١٢٢م مقدار النفقات على أسمطة شهر رمضان، وأنها تناقصت في وزارة شاور، فذكر مقدارها، ثم قال:".. والله أعلم"(١).
- حديثه عن أبيه في أحداث الاحتفال بفتح الخليج في ٥١٦هـ/١١٢٢م بأنه كان حريصًا على الالتزام بضوابط الشرع في الاحتفال، فأتى بعبارة: ".. من غير خروج في شيء عن ذلك عما يوجبه الشرع"(٢)، والقول هذا وإن كان وصفًا لفعل أبيه مما يدل على تدينه، لكنه يعكس أيضًا فكر مدون العبارة الذي لاحظ هذا، ولديه علم بالشرع وبما يخالفه.
- أيضًا حديثه في عام ٥١٧هـ/١١٢٣م عن ولاية حيدرة على الإسكندرية وأن المأمون أرسل مع حيدرة كتابين، أحدهما: ينهى فيه أخاه حيدرة عن أن يقبل هدايا من التُجار، أو يقبل أن يحل ضيفًا على أحد، وغير ذلك مما في معنى الرشوة، كما ذكر استجابة حيدرة لما أوصاه به المأمون(٣)، فتسجيل ابن المأمون لهذا وإن كان يوضح تدين أبيه وعمه، لكنه في أن تلحظ عيناه ويرصد عقله ذلك، دلالة على نزعته الدينية.

(دقة الوصف، وقوة الملاحظة، وكثرة التفاصيل):

ابن المأمون دقيق الوصف، يُكثر من ذكر التفاصيل في الحدث الذي يتناوله، وهذه التفاصيل هي ما أثرت معلوماتنا عما كان سائدًا في

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٦٦.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٩٥.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠١.

العصر الفاطمي من نظم ورسوم وغير ذلك، وسيرته كلها تدل على دقة وصفه، وقوة ملاحظته، وكثرة تفاصيله، ومن ذلك:

- دقة الوصف وسرده لأحداث مقتل الأفضل ثم تجهيزه وخروج جنازته وتصويره لها في٥١٥هـ/١١٢١م ، معبرًا عن هذا بكثرة ما جاء فيها من وصف وسرد وتفاصيل، كما أن رؤيته الحزن في وجوه الناس وقت الجنازة عقب تلاوة الآيات القرآنية وتصوير ذلك(١)، فيه دلالة على قوة وشدة ملاحظته لأدق تفاصيل الحدث.
- دقة وصفه وكثرة تفاصيله في٥١٥هـ/١١٢١م عن السواقي، ثم اختار إحداها وتحدث عنها ذاكرًا مكانها ومساحتها، وما تشتمل عليه من محاصيل، ومقدار خراجها(٢).
- ومن قوة ملاحظته التي أدت إلى دقة الوصف قوله في٥١٦هـ/١١٢٢م: "جلس الخليفة.. على كرسي جريد بغير مخدة"(٣)، وقوله عن الخليفة في عيد النحر يرتدي بدلته وأنه لم يكن معه القضيب على ما جرت به العادة، فقال: ".. بغير قضيب ملك في يده.." (٤)، وهكذا تراه لا يدع وصفًا يقع تحت بصره إلا وقد وصفه بمنتهى الدقة، ويُلاحِظ ما نقص عما جرت به العادة وإن كان شيئًا لا يستحق.

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٢: ٢٨.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٤، ٤٥.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٤٨.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٨١.

- حديثه في ٥١٧هـ/١١٢٣م عن ما حمل به رسول طغتكين إليه من: "خيام – خيل – كسوات – بنود – أعلام – سيوف ذهب – آلات فضة – مرتبة ملوكية"(١).
- أيضًا تتضح كثرة التفاصيل فيما أورده من حديث عن الاحتفالات بالمواسم والأعياد المختلفة مثل الاحتفال بشهر رمضان وعاشوراء وعيدي الفطر والنحر، وفتح الخليج(٢)، وعلى الرغم من تشابه تفاصيل احتفالات الأعياد، إلا إنه يقص تفاصيل احتفال اليوم الذي يتناوله بدقة، فهو صاحب بصر وبصيرة، وذاكرة قوية، حفظت لنا المراسم حتى دونها وقت تدوين السيرة.

(استخدامه للألفاظ والجمل البلاغية):

- يُلاحظ عند ابن المأمون سلامة اللغة العربية لديه بحكم كونه أديبًا، كما تلمس في مفرداته وجُمله المصاغة جمالاً على مدار سيرته.
- فمن حسن تعبيره بعبارة تُشعرك بالتحسر وشدة الحزن على وفاة الأفضل في٥١٥هـ/١١٢١م قوله: "..وفُتح باب مجلس الأفضل المعلق بالستور – الذي لم يكن حظه منه إلا جوازه عليه قتيلاً"(٣).
- ومن الجمل ذات البلاغة قوله في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن مشاهدة الناس موكب الخليفة في العيد: ".. والنظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة ما لم يألفوه"، وقوله أيضًا عن نظر الناس إلى الخليفة وهو يصعد المنبر في العيد: ".. وجميع من بالمصلى والبرية لا

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٢، ١٠٣.
(٢) ابن المأمون: انظر السيرة، الاحتفالات.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٢٩.

يسأم نظره"[١]، وحديثه عن الرجل الذي يلتهم جميع الطعام، قال: "..فلما استوفى العجل جميعه.."[٢]، وقوله عن بر المأمون وصدقاته: ".. فجرى في معروفه على رسمه، وبالغ الشعراء في مدحه"[٣]، وأيضًا قوله في٥١٨هـ/١١٢٤م عند تعريفه للصبيان: ".. وليس الجميع عبيدًا بشراء ولا سودان، بل مُولَّده، وأولاد أعيان، وأهل فهم ولسان.." [٤].

- ومن جمال الصياغة وحسن اختياره لألفاظه وجميل تعبيره عن رقيقي الحال قوله: ".. وفقراء المؤمنين.."[٥]، وقوله: ".. وهاجر إلى باب الأجل.. الضعفاء والمساكين.."، وقوله: ".. وصار موسمًا يرصده كل أحد.."، وذلك أثناء حديثه عن عيد الغدير في ٥١٦هـ/١١٢٢م، وإكثار المأمون فيه من البر والصدقات[٦]، وقوله واصفًا محدث أبيه عن نوبة القصار: ".. وكان الشريف عبد الله تحدث عن صديق له مأمون القول.."[٧].
- وتقع عين ابن المأمون على الحسن من الشيء، فيعبر عنه بالمعاني الطيبة ويفسره باللطف، وذلك حين حديثه في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن الحضور على الموائد، وأنهم يأكلون

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٠، ٦١.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٧.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٨٣.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١٣٤.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص٧٩.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص٨٢: ٨٣.
(٧) ابن المأمون: السيرة، ص٨٨.

ويأخذون معهم من الطعام عند انصرافهم، فقال فى ذلك: ".. فأخذه القوم في أكمامهم ويأخذون منه لأولادهم على سبيل البركة .. لأن ذلك كان مستفاضًا عندهم غير معيب على فاعله"، وقد ذكر ذات الأمر في موضع آخر في ٥١٨هـ/١١٢٤م، موضحًا ومؤكدًا على أن الحضور كانوا يأخذون الطعام على سبيل البركة فقال:".. فلما ينصرفون يستصحبون معهم ما تقتضيه نفوسهم على حكم الشرف والبركة.."(١) فأتت عيناه هنا بالجميل في الأمر، فصاغه بجميل المعنى وأطيبه، ولم ير في ذلك أنه طمع من الحضور أو نهّم في الاستزادة من الطعام، بل رأى أن فعلهم هذا على سبيل البركة.

- أيضًا من جميل ألفاظه وحسن تعبيره، قوله في ٥١٨هـ/١١٢٤م عن محاسبة متولي الدفتر لمقدمي الركاب عما تم إنفاقه إلا عن الصدقات: ".. وأما الصدقات فهم فيها على حكم الأمانة"(٢).

(الجمل الاعتراضية والتوضيحية):

- يُكثر ابن المأمون من استخدام الجمل الاعتراضية في السيرة، وذلك بغرض الإيضاح، وكثيرًا ما تُسبق جملته الاعتراضية بكلمة "يَعْنِي" حتى لتعد لازمة له لا ينفك عنها إلا قليلاً، ومن تلك الجمل، : قوله: "وفي هذه السنة – يعني سنة عشر وخمسمائة –.."(٣)، وقوله عن الأفضل: ".. فلما سكن – يعني الأفضل بمصر – صار

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٥٤، ١٣٨.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤١.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٦.

يطلع من مصر باكرًا.."[١]، ومن الاعتراض بغرض التوضيح أيضًا: ذكره المغاربة ويَقصد بهم المصامدة فقال: ".. –يعني بالمغاربة طائفة المصامدة– .."[٢]، وكقوله: ".. وكان مضمون الكتاب – بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة –.."[٣]، وقد تأتي الجملة الاعتراضية صغيرة– كما سبق – أو كبيرة زيادة في الإيضاح، نحو قوله:".. ولما سكن الأجل المأمون دار الذهب وما معها – يعني في أيام النيل للنزهة عند سكن الخليفة الآمر بأحكام الله بقصر اللؤلؤة المطل على الخليج – رأى.."[٤].

(استخدام السجع):

- يستخدم ابن المأمون السجع في سيرته بصورة ملحوظة ويُحْسِنه ويُوقعه موقعه الذي يزيد كلامه حُسناً على حُسن، ومن ذلك في ٥١٦هـ/١١٢٢م قوله فيمن يخطب في التاسع والعشرين من رمضان: ".. ثم قام بعد ذلك من خطب فأسمع، ودعا فأبلغ.."[٥]، وحديثه عن تكبيرات العيد: ".. والمؤذنون على أبواب القصور، يكبرون تكبير العيد المذكور.."[٦]، وقوله في أحداث نوبة القصار في بركات عند حمله:".. فنادوا عليه نداء الرجال، واكتموا

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٣٧.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٥.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٢.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٥١.
(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٤.
(٦) ابن المأمون: السيرة، ص٨٣.

الحال.."[١]، وقوله عن رجوع العمال والصناع من القاهرة مقر عملهم إلى مصر مقر سكنهم: "..لا يزالون في ضوء موقود، وسوق معقود، وجمع موجود.."[٢].

(المقارنات):

عقد ابن المأمون العديد من المقارنات، منها: المقارنة الثنائية بين شخصين، أو الثلاثية بين ثلاثة، وذلك كحديثه عن الاحتفال بالعيد في ٥١٥هـ/١١٢١م، فيرصد مراسم الاحتفال في عهد الوزير المأمون، ويقارن بينه وبين ما كان سائدًا من مراسم هذا العيد في عهد الأفضل، بل قارن أيضًا بين ما كان سائدًا من مظاهر فيه أيام بدر الجمالي والد الأفضل[٣].

- تتعدد طرق ذكر ابن المأمون للمقارنات، فهو تارة في مقارناته يقدم ما كان يفعله الأفضل، ثم يعرض لفعل المأمون، مثلما تقدم، وتارة أخرى يعرض فعل المأمون، ويؤخر ذكر ما كان يفعله الأفضل، وذلك نحو حديثه في ٥١٥هـ/١١٢١م عن مسامحة المأمون في البواقي، فأورد فعل أبيه من المسامحة، ثم ذكر ما كان من فعل الأفضل سابقًا حيال ذلك[٤]، ومن جميل صنع ابن المأمون هنا أنه إذا أورد نصًا يستشهد به في إثبات فضيلة للمأمون، فإنه

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٥.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٩٦.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٦، ٣٧.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٥ : ٤٧.

كذلك يورد نصًا يستشهد به لما كان عليه الأفضل من هذا الفضل سابقًا.

- ومن المقارنات أيضًا بين كل من المأمون والأفضل: مقارنته في ٥١٧هـ/١١٢٣م المقرر للوزارة من الطيب، فذكر أنه لم يكن للوزارة أيام الأفضل من الطيب شيء مقرر، فتغير الوضع في عهد الوزير المأمون، وصار للوزارة في عهده مقدار معين من الطيب(١).
- ومن المقارنات التي ذكرها ما كان بين الوزير المأمون، والخليفة (الآمر)، فقد قارن بين وجوه الإنفاق على أسمطة شهر رمضان والعيد من عام ٥١٦هـ/١١٢٢م، وبيّن مقدار الإنفاق على هذه الأسمطه أيام الآمر عقب مقتل المأمون(٢)، وأيضًا مقارنته في ٥١٧هـ/١١٢٣م بين ما كان في عهد الوزير (الأفضل)، وعهد الخليفة (الآمر) حول أواني الزبادي وأن الآمر استحدث لها أواني مذهبة تُقدم فيها، وذكر تقديمها في أوانٍ كانت موجودة من أيام الأفضل(٣).
- أيضًا قارن بين ما كان سائدًا في عصر الخليفة الآمر وعصر من سبقه من الخلفاء، مثلما فعل في ٥١٦هـ/١١٢٢م، حين حديثه عن

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢٤.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٦.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢٠.

الدينار الآمري، ومقارنته بما كان يُضـرب قبلـه فـي جميـع الأمصار، وأنه هو الأعلى عيارًا من غيره(١).

(التشبيهات):

- استخدم ابن المأمون أسلوب التشبيه فيما وصل إلينا من سيرته في موضعين، الأول: في أحداث عام ٥١٦هـ/١١٢٢م حينما تحدث عن عيد الغدير، وذكر أنه في مراسم الاحتفال به يُشْـبِه مراسـم الاحتفال بعيد النحر في السماط والرسوم والنحر(٢).
- أما الموضع الثاني: فكان أيضًا تشبيه فعل حميد القصـار حـين حديثه عن نوبة القصار في ٥١٦هـ/١١٢٢م وادعائه الربوبيـة بالحلاج، ولم يفت ابن المأمون أن يلقي ضوءًا على بعض ما كان يأتيه الحلاج ويدعيه(٣)؛ ليعرف به القارىء.

(التنويهات):

حينما يذكر ابن المأمون الحدث أو جزءًا منه عرضًـا، وسـيأتي بذكره بعد ذلك مفصلاً، فإنه ينوّه على ذلك، مثال ذلك:

- حديثه في عام ٥١٦هـ/١١٢٢م عن عيد الغدير، فيذكر عرضًـا مدح الشعراء للمأمون في عيد الغدير، ثم قال: ".. وسيرد ذلك في موضعه"(٤).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٧.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٣.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٨.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٣.

- وقوله فيمن تفرق فيه كسوة عيد الفطر من عام ٥١٦هـ/١١٢٢م:"المحمول في هذا الموسم لمن يأتي ذكره.. [١]"، وأيضًا قوله في حديثه في العام نفسه ٥١٦هـ/١١٢٢م عن ما يُفرق في موسم فتح الخليج من الكسوات على أربابها قوله: ".. لهم من الهبات العين والرسوم.. ما يأتي ذكره فى موضعه"[٢].

(الإحالات):

انتهج ابن المأمون طريقة الإحالة على تاريخ ماضي الأشياء، ومن ذلك:

- حديثه في٥١٥هـ/١١٢١م عن أصل نعت أبيه بلفظ "المأمون" وأن هذا النعت يعود إلى أيام المستنصر حينما كان من جملة خواصه[٣].
- كذلك من الإحالات حديثه في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن بناء المسجد في قبالة باب الخوخة، فذكر أن موضع المسجد كان من قبل محرسًا، وصدر الأمر بإزالته لبناء المسجد[٤].
- وحين حديثه عن نوبة القصار في ٥١٦هـ/١١٢٢م، أحال إلى أول حدوث قضية نوبة القصار وبركات، فقص منها ما كان من أحداث في الأيام الأفضلية[٥].

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٧٣.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٩١.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٢٦.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٥١.

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٥، ٨٦.

- أحال القارىء في٥١٦هـ/١١٢٢م على حال منظرة اللؤلؤة في الماضي زمن المستنصر، وأنها كانت خرابًا، حتى أنه بنى حائطًا يستر به الخراب عن نظر الخليفة(١).
- ومن الإحالات أيضًا حينما تحدث في٥١٧هـ/١١٢٣م عن الاحتفال بليالي الوقود التي تجرى في أول الشهر ومنتصفه فبعد أن ذكر مراسم الاحتفال به في أول الشهر، فإنه لم يُعد ما ذكر من المراسم عند الاحتفال به في منتصف الشهر، وإنما أحال على ما ذكره من مراسم الاحتفال في أول الشهر، معبرًا عن ذلك بقوله: "جرى الحال في ركوب القاضي على الترتيب الذي تقدم في أول الشهر"(٢).

(التهيئة):

- يقدم ابن المأمون للحدث الذي يذكره ويهيىء للقارىء بأنه قضية ممتدة، مثلما فعل عند حديثه في٥١٦هـ/١١٢٢م عن نوبة القصار وأنها من أيام الأفضل فقال: ".. وهى قضية طويلة وأولها من الأيام الأفضلية.."(٣)، فيعرف القارئ ببداية الحدث ويرصده له.

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٩٥.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٨.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٥.

(الاستدعاءات، استدعاء أحداث أعوام لاحقة في أحداث أعوام سابقة):

- قد يتطلب سياق الحديث وحتى يكتمل المشهد والحدث أن يُستَدعى أحداث من عام متأخر ضمن أحداث عام متقدم بغرض إيضاح الأمر برمته واستكماله، وذلك مثلما فعل ابن المأمون في حديثه عن نسختي الأيمان اللتين أعطاهما الخليفة الآمر للمأمون عقب الاتفاق على تولي المأمون الوزارة في أحداث ٥١٥ هـ/ ١١٢١م، فذكر أن الخليفة استرد نسخة الأيمان عقب القبض على والده في عام ٥١٩هـ/١١٢٥م(١)، وكذلك ذكر ابن المأمون حدث القبض على أبيه في ٥١٩هـ/١١٢٥م مرة أخرى، ضمن أحداث عام ٥١٦هـ/١١٢٢م حين حديثه عن مسجد يانس، ورغبته في بنائه، لكن رفض المأمون تلبية رغبته، ثم ذكر أن المسجد بني بعد القبض على أبيه في ٥١٩هـ/ ١١٢٥م(٢)، وأيضًا ذكر حدث مقتل والده وعمّه في ٥٢٢هـ/١١٢٨م ضمن حديثه في عام ٥١٩هـ/١١٢٥م عن إلقاء القبض عليهما(٣).
- وقد يستدعي ابن المأمون لأحداث السنة التي يتناولها أحداث سنوات سابقة ولاحقة عليها، مثل ذكره نهاية القصار وصلبه كان في ٥١٧ هـ/ ١١٢٣م، وذلك ضمن الحديث عن نوبة القصار في ٥١٦هـ/ ١١٢٢م، إلا أنه هنا استدعى أيضًا أحداثًا سابقة على

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٦.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٢.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٤٤.

٥١٦هـ/١١٢٢م حينما تحدث عن بداية نوبة القصار في ٥١٣هـ/١١١٩م(١).

- وقد يأتي بأحداث سنتين لاحقتين على السنة التي يتحدث عنها، وذلك حينما أورد حديثه في ٥١٨هـ/١١٢٤م عن الأحباس الجيوشية، فذكر ما آل أمرها في عهد الحافظ في ٥٢٧هـ/١١٣٢م، وكذلك مصير تلك الأحباس في وزارة رضوان بن الولخشي في عام ٥٣١هـ/١١٣٦م(٢)، وذلك لامتداد الحدث، وحرصه على توضيح تاريخه ونهايته.
- استشهد ابن المأمون بنص لابن الصيرفي ذكر أنه كتبه في ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م عن كسوة العيد وتوزيعها، وذلك ضمن حديثه عن كسوة العيد من أحداث عام ٥١٦هـ/١١٢٢م(٣)، فحتى النصوص يستدعي ابن المأمون منها ما كان متأخرًا ليدلل به على حدث متقدم.
- أقل السنوات سردًا للأحداث ٥١٣هـ/١١١٩م، حيث اقتصر فيها على الحديث عن مجلس العطايا وما ابتكره المأمون فيها من ظروف العطايا التي تُوزع على الحضور(٤).
- كانت أكثر السنوات عند ابن المأمون سردًا للأحداث وكثرة فيها ما كان في عامي ٥١٦هـ/١١٢٢م، ثم ٥١٧هـ/١١٢٣م، ولعل

(١) ابن المأمون: السيرة، ص٨٨.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٤١، ١٤٢.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٦.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٩.

مرجع ذلك إلى أن هذين العامين كانا ذروة مجد أبيه أثناء توليه الوزارة، وما تحويها من قرارات وأفعال ومستحدثات.

(استخدام القياس والمماثلة والمناظرة):

- يلجأ ابن المأمون إلى استخدام القياس، ويعبر عما كان سائدًا من قبل، ومستمرًا لم ينقطع بقوله: "..الجاري بها العادة.."، وقوله: ".. ومن جرت عادته.."، وأيضًا: ".. على مستمر العادة.."(١)، وكذلك قوله في٥١٧هـ/١١٢٣م عن الاحتفال بليالي الوقود أول الشهر وأوسطه: ".. وجرى الحال في ركوب القاضي على الترتيب الذي تقدم في أول الشهر"(٢)، وأيضًا قوله في٥١٨هـ/١١٢٤م عن الاحتفال بفتح الخليج: ".. وجرى الحال في المائدة الشريفة على ما هو مألوف.."(٣).
- وهو يكثر من استخدام تلك الجمل حينما يورد أحداثًا مضمونها كان معمولاً به من قبل ومستمرًا العمل به، خاصة فيما تحدث عنه من مراسم الاحتفالات، ويتضح ذلك في حديثه في٥١٦هـ/١١٢٢م عن كسوة العيد، وتوزيعها على أرباب الديوان، فذكرهم بأسمائهم، وذكر المقدر لهم من الكسوة، فلما أتى على ذكر كتّاب ديوان الإنشاء، لم يعاود ذكر ما لهم، وبيّن أنه قياسًا على من سبق ذكرهم بما لهم من الكسوة(٤).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٨١، ٩٥.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٨.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ١٣٨.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٤.

- ومن المماثلة قوله في أحداث ٥١٧هـ/١١٢٣م عن تذكرة الطراز: "تذكرة الطراز الحكم فيها مثل الاستيمار.."(١).
- ومن المناظرة ما كان من حديثه في٥١٧هـ/١١٢٣م عن الأموال التي تُحمل إلى الخليفة والوزير مستهل العام، فلم يذكر قيمة المبلغ ولكنه قال: ".. والذي اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة نظير ما كان قبلها"(٢)، فهو لا يعيد تقدير شيء مماثل قدره من قبل.
- وما لم يكن له مثيل ولا نظير، أو يحدث لأول مرة فإنه يذكر ذلك، كقوله في٥١٦هـ/١١٢٢م عن المنفق على أعمال البر والصدقات ما لو قدر لوصل إلى مائة ألف دينار: ".. وهذه جملة ما سَمَع بها أحد ولا تقدمها مثلها"(٣)، وكحديثه عن الكسوة ذاكرًا بالتفصيل كسوة المستخدمات العاملات بخزانة كسوة الخاص، فلما انتهى منها ذكر كسوة المستخدمات من أرباب الصنائع من القصور وممن انضاف إليهن من الأفضليات دون تفصيل، فقال فيها إنها: "..على التفصيل المتقدم"(٤) أي مثل التفصيل الذي أورده في كسوة المستخدمات بخزانة كسوة الخاص، وكما قال عند حديثه في٥١٧هـ/١١٢٣م عن ما يُصنع في دار الطراز مما يتخذ

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٧٨.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٩٧.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٦٦.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص٧٢.

لتغطية الصواني ولم يكن يُصنع من قبل، فعبر عنه بقوله: ".. وإن لم يتقدم نظيره"(١)

(ذكر المفصل بعد المجمل):

- اعتاد ابن المأمون في سيرته على التفصيل والإيضاح، فلم يغفل أن يذكر تفصيل الشيء عقب ذكره إياه إجمالاً، ومثال ذكره المفصل بعد المجمل حديثه في عام ٥١٦هـ/١١٢٢م عن بدلة الخليفة في العيد وأنها تتكون من إحدى عشرة قطعة، ثم فصّلها بذكرها قطعة قطعة(٢)، ونحو حديثه عما يذبحه الخليفة في عيد النحر، فذكر أن عدة ما يُذبح "..ألف وتسع مائة وسبعة وأربعون رأسًا، تفصيله: نوق: مائة وثلاثة عشر رأسًا.."(٣).
- ما ذكره في٥١٧هـ/١١٢٣م عن ما قُرر للوزارة من ميزانية بأنها تُقدر إجمالاً بثلاثة آلاف دينار، ثم عاد وفصل كيفية توزيعها فقال: ".. وأما ما قرر للوزارة .. فهو ثلاثة آلاف دينار، تفصيلها: ما هو على حكم النيابة عن الخليفة في العلامة ألف دينار، وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار، وما هو على مائة غلام .. لكل غلام خمسة دنانير في الشهر.."(٤)، وأيضًا مثل حديثه عن

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٢٠.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٧٠.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٨١.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢٢.

خزانة الأدم بأنها تصنع في كل شهر ثمانين زوجًا، ثم فصل توزيع الثمانين" (١).

(ذكر الخاص بعد العام):

- يأتي ابن المأمون بذكر الأمر العام أولاً ثم يذكر الخاص بعده، مثلما فعل حينما ذكر في أحداث ٥١٧هـ/١١٢٣م مقدار جملة نفقات الدولة الثابتة والمقررة في هذا العام، ثم أتى بعد ذلك بذكر بعض وجوه الإنفاق التي ليس لها مقرر ثابت داخل ضمن مقدار النفقة المقدرة للعام، وإنما يُصرف لها بحسب ما يقرره الخليفة، وأيضًا مثل حديثه عن نفقات الوزارة خاصة، بعدما تحدث عن جملة المنفق في السنة في جميع الوجوه(٢).

(ذكر الأدنى بعد الأعلى):

- يحرص ابن المأمون في السيرة على ذكر الأعلى ثم ذكر ما دونه، مثل حديثه في عام ٥١٦هـ/١١٢٢م عن كسوة العيد، فيتحدث عن كسوة الخليفة أولاً، فإذا ما انتهى من ذكرها، يذكر كسوة أخي الخليفة، ثم كسوة القاضي، ثم الموالي(٣) ... وهكذا.
- أيضًا من ذكر الأدنى بعد الأعلى تراه يذكر دائمًا ما يختص بالخلافة أو الخليفة أولاً، ثم يعقبه بذكر ما يخص مَن دونه كالوزارة والوزير، كحديثه عن البخور في ٥١٧هـ/١١٢٣م،

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٣٠، ١٣١.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٢١، ١٢٢.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٧٠.

فذكر فيها أولاً مقدار البخور المحدد لقصور الخلافة، ثم أعقبه بالحديث عن مقدار البخور المقرر لدار الوزارة(١).

- وأحيانًا يجمع في حديثه بين ذكر الأعلى وما دونه بحسب ما يقتضيه السياق، ودائمًا الأدنى في أحداثه يكون مختصرًا عن الأعلى، وقد فعل هذا أثناء حديثه عن مقرر الحلوى لكل من قصور الخلافة والوزارة ضمن أحداث عام ٥١٧هـ/١١٢٣م(٢).

(الموضوعية والحياد):

لا يبرح ابن المأمون في سيرته عن الموضوعية والحياد، والسيرة كلها دليل على ذلك، وحتى وإن أورد فيها العديد من مناقب أبيه وما استحدثه في وزارته مع وجود الإرادة لإبراز ذلك، إلا أن ذلك لم يُخرجه عن الحياد والموضوعية؛ لأنه لم يُثبت له ما لم يفعله، بل فعله أبوه حقًا، مما نأى بابن المأمون عن أن يُتهم بالانحياز لأبيه، بل إنه دعم كلامه بالأدلة من وثائق نصوص السجلات والشواهد وغير ذلك، فهذه من عناصر الموضوعية في الكتابة التاريخية(٣)، ومما يشهد له بالموضوعية والحياد أيضًا:

- حديثه عن أبيه وأعمامه وإخوانه حديثًا مجردًا دون الإشارة إلى صلة القرابة بينه وبينهم.

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٢٤، ١٢٦.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٢٦.

(٣) فاروق عمر فوزي: التدوين التاريخي، ص٧٥.

- فى عقده المقارنات بين ما كان سائدًا أيام أبيه وبين الأفضل على سبيل المثال، فيخيل للقارىء حين القراءة أنه بعدما يذكر ابن المأمون محاسن أبيه في أمر ما أثناء وزارته، ثم يورد ما كان يفعله الأفضل حيال الأمر نفسه، أنه سيقرأ ذم الأفضل، أو إلحاق الشين به، والنقصان بأعماله، لكن يتفاجأ القارىء بأن ابن المأمون يعدد محاسن الأفضل أيضًا في هذا الأمر بطريقة مماثلة لما ذكره عن المأمون، بل لم نجد ابن المأمون على مدار السيرة ينكر فضل الأفضل ولا إجراءاته التي اتخذها في وزارته، بل يذكر جميل أفعاله.
- أيضًا مما يدلل على موضوعية ابن المأمون وحياده وبعده عن الانحياز لأحد أو التعصب ضد أحد ما جاء به على مدار السيرة فيما يختص بالحديث عن الخليفة الآمر، فقد التزم في الحديث عنه جم الأدب، وجل الاحترام، بالرغم من أنه من أصدر الأمر بالقبض على أبيه ثم قتله، بل لا تجد في السيرة أية ألفاظ أو تعبيرات تبوء بحزن ابن المأمون أو غضبه لما لحق بأبيه وعمه، ولم يكن فعله هذا ناجمًا عن خوف وخشية، لأنه دوّن هذه السيرة بعد وفاة الخليفة الآمر.

(النقد عند ابن المأمون):

قلما تجد في سيرة ابن المأمون مواطن للنقد، ليس لأنه لا يملك الحس النقدي وملكة النقد، لكن لعل مرد ذلك إلى كونها تأريخًا لمناقب والده، كما أنها في مجملها تضم الحديث عن النواحي الاجتماعية ونظم الفاطميين ورسومهم، فلا مجال فيها للنقد، اللهم إلا فيما ندر، كاستنكاره في

٥١٠هـ/١١١٦م لتصرفات الوالي ذخيرة الملك جعفر لسوء أفعاله، واستبداده وظلمه للرعية[١]، وكذلك استنكاره في ٥١٦هـ/١١٢٢م لبركات والقصار عند حديثه عن دار العلم[٢]، وأيضًا اسنكاره في٥١٨هـ/١١٢٤م لاستيلاء الخليفة الحافظ على الأحباس الجيوشية[٣]، وإن لم يُصرح بذلك صراحة.

ولئن قيل: إن ابن المأمون لم يكن موضوعيًا؛ لأنه لم ينتقد أباه في أي موضع من السيرة، على الرغم من ذم بعض المؤرخين فيه[٤]، وبذا لم يكن موضوعيًا ومحايدًا على مدار تدوينه للسيرة، فالجواب أن ذلك أمر طبيعي، بل لو فعل لكان أتى بما يُستغرب فعله من البشر، إذ ندر وقل أن تجد أحدًا يذم أباه، فضلاً عن أنه جمع في السيرة مناقب أبيه، فكيف به ينتقده؟

(المآخذ على ابن المأمون):

وكشأن جميع البشر، لا يخلو عمل ابن المأمون ومنهجه من بعض المآخذ، ومنها:

(استخدامه بعض الألفاظ الجافة والوصف بما لا يليق ولا يصح):

- نادرًا ما يجنح ابن المأمون إلى استخدام الجاف من الألفاظ أو النعت بالسوء، ومن ذلك وصفه في٥٠١هـ/١١٠٧م ليوحنا بن

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٧.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٨٥: ٨٩.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص١٤٢.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٨٤، الدوداري: كنز الدرر، ج٦، ص٤٩٢.

أبي الليث بـ "التبجح" في قوله: "..رغب في التبجح على الأفضل.."(١).

- وأيضًا في٥١٠هـ/١١١٦م أفصح عما ورد عن جعفر الوالي بعد موته وفي حالة غُسله ونزوله قبره بقوله: ".. وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه، وذكر عنه في حالتي غسله وحُلُوله بقبره ما يُعيذ كل مسلم من مثله"(٢)، فكان ما ذكره ابن المأمون هذا مما ينبغي أن يُستر حتى وإن لم يصرح واكتفى بالإشارة، فإن مجرد الإشارة إفصاح.
- كذلك من الألفاظ الجافة الغريبة على ابن المأمون قوله في ٥١٦هـ/١١٢٢م عن الحضور لسماط العيد: ".. وفرقت الدنانير على المقرئين والمنشدين .. ومن هو معروف بكثرة الأكل، ونهبت قصور الحلاوة.."، وقوله عن أبيه المأمون حينما جلس مبكرًا جدًا لتلقي التهاني بالعيد: ".. وبكّر المأمون بجلوسه في داره مغلسًا.."(٣).
- أيضًا وصف ابن المأمون في٥١٨هـ/١١٢٤م للخليفة الحافظ بـ "المستبد"(٤)، مع أن هذه الكلمة أو غيرها من سيء الألفاظ لم يستخدمه ابن المأمون في حق الآمر قاتل أبيه، فهل نال ابن

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠.
(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٧.
(٣) ابن المأمون: السيرة، ص٦٣: ٦٤.
(٤) ابن المأمون: السيرة، ص١٤٢.

المأمون من الحافظ شدة جعلته يصفه بذلك؟ لا يوجد ما يدل على ذلك، ولا يوجد علم به من خلال المصادر المتاحة.

- لكن ما سبق من ألفاظ جافة ليس هو المعتاد عند ابن المأمون، إذا أُثر عنه في موضع من سيرته تحاشي ذكر السيء من الألفاظ واكتفى بالإشارة إليها، مثلما فعل حين حديثه في٥١٧هـ/١١٢٣م عن الوالي الذي أتى بأخبار القاهرة إلى المأمون، ولم يذكر فيها أمر الرجل الذي استأجر لابنته دارًا ليقيم فيها عرسها، فاعتلى ملاك الدار أسوارها، وأشرفوا على النساء والعروس، فلما لم يأت الوالي بهذا الخبر وكتمه، اشتد المأمون على الوالي في القول، وهنا لم يذكر ابن المأمون الألفاظ التي صدرت من أبيه الوزير في حق الوالي، بل عبّر عن ذلك بالإشارة قائلاً: "..فأسمعه ما أمَضّه، وبيَّن عجزه، وتقصيره.."[(١)]، ولعل فعل ابن المأمون من عدم ذكره ما تلفظ به أبوه إما نوعًا من البعد عن إظهار إهانة المُهان (الوالي) بُغية الستر، وإما لأن الأمر يتعلق بأبيه فتحاشى أن يذكر عنه ما تَفوه به من سيء الألفاظ.

(قطع السرد وعدم الالتزام بالترتيب الزمني والمنطقي للأحداث):

- نادرًا ما يقطع ابن المأمون سرد الأحداث بجملة أو عبارة يوردها لأحد تتعلق بالحدث، وكان من الممكن أن يؤخرها حتى يأتي بالحدث كاملاً بدلاً من قطعه بأقوال لا يضر عدم ذكرها، وذلك مثلما فعل أثناء حديثه عن يوم الهناء بعيد النحر من عام

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١١٧.

٥١٥هـ/١١٢١م، وجلوس المأمون لتلقي التهنئة بالعيد، فذكر المراسم في تلقي التهاني، وموضع جلوسه لذلك، وذكر أنه كان على مَرتَبَة مُعَدة لذلك، ثم قطع المراسم بقول سابق للأفضل حينما كان يجلس على المرتبة نفسها، فقال: ".. وكان الأفضل يقول: "ما أزال أُعِد نفسي سلطاناً حتى أجلس على تلك المرتبة، ويُغلق الباب في وجهي والدخان في أنفي.."، ثم عاد ابن المأمون يستكمل مراسم جلوس الوزير لتلقي التهنئة بالعيد(١).

- وكذلك في حديثه عن المولد الآمري من أحداث عام ٥١٧هـ/١١٢٣م، تحدث عن نوع ومقدار ما يفرق أثناء الاحتفال به، ثم قطع حديثه عن ذلك، وتحدث عن الحضور الذين يحضرون الاحتفال، ثم عاد ليستكمل الحديث عما يُفرق في المولد الآمري(٢).
- قل أن تجد ابن المأمون يسجل الأحداث بترتيب حدوثها إذا ما كان لها استكمال في مواضع أخرى، فلا يأتي بما في المواضع الأخرى ليضمها إلى بداية حديثه عنها كما عودنا، وقد فعل هذا في أثناء حديثه عن أسمطة شهر رمضان والعيد من عام ١١٢٢/٥١٦م، فلما انتهى من حديثه عنها، ذهب ليتكلم عن أحداث أخرى غير متعلقة بها، ثم عاد ليذكر مقدار ما كان ينفق على تلك الأسمطة(٣).

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٤٠.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص٩٩.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٦٥.

- أيضًا نادرًا ما تجد ابن المأمون لا يلتزم بالتسلسل الزمني للأحداث، مثلما فعل أثناء حديثه عن عام ٥١٧هـ/١١٢٣م فيما يختص بالاحتفال بليالي الوقود، وما يجري بها أول الشهر من رجب، ثم منتصف الشهر، فلما انتهى منها انتقل إلى الحديث عن عيد النوروز الذي موعده في التاسع من رجب، ولعل ما دعاه إلى ذلك أنه أراد أن يجمع الحديث عن ليالي الوقود بقسميها أول الشهر وفي أوسطه، ولا يقطعها بحديث آخر، خاصة وأن أحداثها واحدة، فجمعها في حديثه، ثم عاد إلى الحديث عن نوع آخر من الاحتفالات(١)، فتقيد هنا في تسجيله الحدث بنوعه وليس بتاريخه.

(عدم وضوح بعض الأحداث والنهايات):

- وعلى غير عادته يتعرض ابن المأمون لذكر بعض الأحداث دون إيضاحها، والبعض لم يذكر لنا عَلام انتهى، وهذا غريب عليه، ولكن ما ورد ولم يوضحه أو يستكمل نهايته كان في مواضع قليلة، منها: حديثه في ٥١٥هـ/١١٢١م عن النسخة الأخرى من كتاب الأيمان الذي كتبه الآمر للمأمون حين توليه الوزارة فقال:".. فعُدِمت في الحركات التي جرت"(٢)، وعلى غير عادته لم يوضح ما هي تلك الحركات التي جرت.
- كذلك في أحداث ٥١٧هـ/١١٢٣م حينما تحدث ابن المأمون عن الفستق، وأورد لنا الحوار الدائر مع الخليفة الآمر من قبل متولي

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ١٠٩.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٦.

بيت المال ومتولي الديوان عن قلة وجوده، وغلو سعره، وشكوى الناس من ذلك، تجد ابن المأمون يترك الحدث معلقًا وينتهي في ذكره عند حد انتهاء هذا الحوار(١)، ولم يذكر لنا جواب الخليفة ورده على هذا الأمر، ولا ما أمر به، ولا كيف تصرف حياله.

(التكرار):

- ومن المآخذ على ابن المأمون تكرار ذكر الحدث مرات عدة، خاصة فيما يتعلق بذكر مراسم الاحتفالات بالأعياد، وما يفرق فيها من الكساوى والنفقات، فتجده يكرر الحديث من مظاهر نفس الأعياد في عدة سنوات(٢).
- كذلك أتى بحديثه عن إلقاء القبض على أبيه في موضعين، ثم أتى به ثالثًا حينما تناوله في حينه من عام ٥١٩هـ/١١٢٥م(٣).
- تكرار حديثه عن أن من يحمل شيئًا من الطعام لأهله عند انصرافه إنما هو على سبيل البركة، والشرف، والميزة، ولا يُعاب فاعله، وقد أتى بتكراره في ثلاثة مواضع(٤).
- وأيضًا يُكرر التعريفات، فقد جاء بتعريف بدلة عيد النحر وما يشد عليها، "شدة الوقار" في موضعين من سيرته(٥)، وذلك راجع – كما عبر هو – لشدة إعجابه بها.

---

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٢٩.

(٢) انظر عن الاحتفالات في السيرة.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٣٦، ٥٢، ١٤٣.

(٤) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٤، ٥٧، ٥٨، ١٣٨.

(٥) ابن المأمون: السيرة، ص ٨١، ١٣٣.

- لدى ابن المأمون تكرار لبعض الجمل، كأن يذكر الجملة، ويتبعها بحديث مفصل مرتبط بها، ثم يعاود ذكر الجملة مرة أخرى ويسترسل في ذكر الحدث، وقد فعل هذا في حديثه عن موسم الخليج في عام ٥١٦هـ/١١٢٢م فقال: "... وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعًا أمر بإخراج الخيم"، ثم قطع الاسترسال في الحديث ليتحدث عن الخيمة ذاتها ومساحتها، فلما انتهى عاود الحديث عن إخراج الخيم فكرر ذكر الجملة مرة أخرى بنصها، فقال: "..وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعًا أمر بإخراج الخيم ... [١]".

(الإسهاب والإطالة):

- يستغرق ابن المأمون في سرد تفاصيل بعض الأحداث ويسهب فيها إلى حد الإطالة، مما قد يُعَرِض القارىء إلى الإصابة بالملل، والإطالة عنده تمثلت في إيراد نصوص السجلات لبعض الأحداث كاملة، وذلك مثلما فعل حينما أتى بنص السجل الذي أنشأه ابن الصيرفي بشأن تحويل السنة الخراجية، فقد استغرق النص في السيرة من الصفحة رقم (٢١) إلى الصفحة رقم (٢٩) [٢].
- وقد تكون الإطالة في سرد الأحداث، مثل حديثه عن كسوة العيد في أحداث عام ٥١٦هـ/١١٢٢م[٣]، فإنه أسهب في ذكر تفاصيلها، فجاءت فيما يقرب من اثني عشرة صفحة من صفحات السيرة، كما أطال حديثه عن ذكر مقدار نفقات الفاطميين في

(١) ابن المأمون: السيرة، ص ٨٩.

(٢) ابن المأمون: انظر السيرة.

(٣) ابن المأمون: السيرة، ص ٥٤، ٦٥.

٥١٧هـ/١١٢٣م[١]، فاستغرقت من السيرة ثماني صفحات، وأيضًا حديثه عن موسم فتح الخليج في عام ٥١٨هـ/١١٢٤م والذي جاء في سبع صفحات من سيرته[٢].

ويتبقى لنا سؤالاً:

هل تحققت المقاصد من السيرة؟

إذا ما صحت جميع الأسباب السابق ذكرها في سبب تأليف السيرة، فيمكن القول بأنها قد حققت مقاصدها أو أكثرها، إذ إنها خلَّدت ذكر المأمون البطائحي، وحفظت مناقبه، وعرَّفت القارىء بما كان للمأمون من أيادٍ بيضاء لرفعة الدولة الفاطمية، واستعادة مكانتها على جميع الأصعدة بعد ما أصابها من ضعف وركود جراء الشدة المستنصرية، كما تبرز السيرة سعي المأمون لخدمة الرعية، وتحقيق مصالحهم، إلى جانب أنها خلَّدت ذكر ابن المأمون كمؤرخ وأديب.

(١) ابن المأمون: السيرة، ص١٢١، ١٢٩.

(٢) ابن المأمون: السيرة، ص١٣٣، ١٣٩.

الخاتمة

وفي ختام هذا العمل الذي أسفر عن دراسة المنهج والأسلوب الذي اتبعه ابن المأمون في كتابه (السيرة المأمونية) أثبتت الدراسة عدة نتائج، منها:

- أهمية التدوين التاريخي، وما يزخر به من معلومات عن كافة الأحداث السياسية، والاقتصادية، والإدارية، والاجتماعية، والعلمية.
- تثمين الجهود القائمة بالبحث عن المؤلفات المفقودة في ثنايا الكتب، وانتقائها، الأمر الذي يُسهم في إماطة اللثام عن الحقائق التاريخية المثبتة في تلك المؤلفات.
- التأكيد على أهمية كتابة السير الغيرية، فهي تلقي الضوء على ما قدمه هذا الغير من خدمات أسهمت في رفعة عصره وتقدمه، فكان أحد الأعمدة التي بها يكتمل بناء الحضارة والتقدم والازدهار.
- الدراسات المنهجية تساعد على سبر أغوار المؤلفين، والتعرف على أسلوبهم، واستكشاف مناهجهم، واستبيان فكرهم، واستجلاء ميولهم وأهوائهم.
- انعكاس ملامح العصر على مدوني التاريخ، وتأثرهم بما هو سائد، فجاءت مؤلفاتهم تبعًا لذلك.
- العمل المتفرد يُعد الأساس الذي ينهل منه المؤرخون، ويظل محتفظًا بذلك التفرد.

- تتأرجح قيمة المؤلفات التاريخية تبعًا لما ورد بها من حقائق، وبما عُرف عن أصحابها من الصدق والأمانة.
- أهمية وجود الشواهد والأدلة؛ لأنها تؤكد حقيقة ما ورد في المؤلفات التاريخية من أحداث، وتنأى بالجميع عن الظن والشك.
- التأكيد على الصلة الوثيقة بين علم التاريخ وغيره من العلوم الأخرى المساعدة له كالوثائق والآثار، وكذلك الأدب.
- لا يكاد يخلو أي عمل مهما بلغت دقته من بعض الهنات والمآخذ، وتختلف قيمته وأهميته تبعًا للغالب عليه.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: المخطوطات:

العيني، بدر الدين محمود(٨٥٥هـ/١٤٥١م):

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (٥٢١ – ٥٧٨)، مخطوطة رقم (٢٩)، محفوظة بتركيا، استنابول، متحف طوب قابو، أحمد الثالث.

ثالثًا: المصادر:

ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم(ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

الكامل فى التاريخ، ط١، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

الكامل فى التاريخ. تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٥١٥هـ.

إدريس الداعي، عماد الدين بن الحسن (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م):

عيون الأخبار وفنون الآثار. تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨م.

الأزدي، علي بن ظافر(ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م):

أخبار الدول المنقطعة، القسم الخاص بالفاطميين، ط١، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، مصر، ١٩٧٢م.

أسامة بن منقذ، أبو ظفر بن مرشد الكناني (٥٨٤هـ/١١٨٨م):

الاعتبار، الولايات المتحدة، مطبعة جامعة برستون، ١٩٣٠م.

الإسحاقي: محمد عبد المعطي المنوفي(١٠٦٠هـ/١٦٥٠م):

لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول. تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، الكويت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

الأصفهاني، أبي حامد بن محمد بن محمد(٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):

– البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت. لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم(٦٦٨هـ/١٢٧٠)::

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

ابن إياس، محمد بن أحمد(٩٣٠هـ/١٥٢٤م):

نزهة الأمم في العجائب والحكم. تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م.

ابن بعرة الكاملي، منصور الذهبي (٦٠٠هـ/١٢٠٣م):

كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية. تحقيق: عبد الرحمن فهمي، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكتاب الثامن، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

البنداري، الفتح بن علي (٦٤٣هـ/١٢٤٥م):

سنا البرق الشامي، اختصار كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني. تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٩م.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف(٨٧٤هـ/١٤٧٠م)::

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط٢، مصورة عن الطبعة الأولى، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد، مصر، د. ت.

التنوخي، المحسن بن علي(٣٨٤هـ/٩٩٤م):

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، ط٢، دار صادر، بيروت،١٩٩٥م.

ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي(٦١٤هـ/١٢١٧م):

رحلة ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت.

ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلى(ت ٦٥٤هـ /١٢٥٦م):

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ٤٩٥-٥٨٩هـ، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف – حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

ابن حماد، محمد بن علي(٦٢٨ه/١٢٣١م):

أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي(ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمى، بيروت. لبنان، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، د. ت.

أبو داود، سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ/٨٨٨م):

سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل، طبعة خاصة، دار الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الدواداري، ابن أيبك أبو بكر بن عبد الله(٧٣٦هـ/١٣٣٥م):

كنز الدرر وجامع الغرر – الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية. تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، المعهد الآلماني للآثار، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

العبر في خبر من غبر. تحقيق. صلاح الدين المنجد، ط٢، الكويت، ١٩٨٤م.

الروحي، أبو الحسن علي بن أبي عبد الله محمد(٦٤٨هـ/١٢٥٠م):

بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء. تحقيق: عماد أحمد هلال– محمد حسني عبد الرحمن – سعاد محمود عبد الستار، القاهرة، وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مركز السيرة والسنة، إدارة تحقيق المخطوطات وكتب التراث،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

السخاوي، الإمام شمس الدين (٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

ابن سعيد المغربي، علي بن موسى(٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م):

المغرب في حلى المغرب. النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة. القسم الخاص بالقاهرة. تحقيق: حسين نصار، القاهرة، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب، ص١٩٧٠م، ص٣٦٣.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، بدون ايضاح أكثر من ذلك.

معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم. تحقيق. محمد إبراهيم عباد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن اسماعيل المقدسي(٦٦٥ه/١٢٦٧م):

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، ط٢، دار الكتب المصرية – مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٩٨م.

ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع (٦٣٢هـ/١٢٣٤م):

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط١، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٤م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط/ تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

ابن الصيرفي، علي بن منجب بن سليمان(ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م):

القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد (٥٢٠هـ/١١٢٦م):

سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، ط١، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ابن الطوير، عبد السلام بن الحسن الفهري (٦١٧هـ/١٢٢٠م):

نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، أعاد بنائها: أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ٢٠١٥م.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله المصري(٦٩٢هـ/١٢٩٣م):

الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة. تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ابن العماد، عبد الحي أحمد بن محمد(ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م):

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، مكتبة القدس، ١٣٥١هـ.

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط/ محمود الأرناؤوط، ط١، دار بن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.

عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي (٥٦٩هـ/١١٧٣م):

تاريخ اليمن، تحقيق: حسن سليمان محمود، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٨٩٧م.

ابن قاضي شهبة، محمد بن أبي بكر(٨٥١هـ/١٤٤٧م):

الكواكب الدرية في السيرة النورية (تاريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي)، تحقيق: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

ابن القطان، حسن بن علي الكتاني المراكشي (٦٥٠هـ/١٢٥٢م):

نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان. تحقيق: محمود على مكي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي التميمي(ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م):

تاريخ دمشق ٣٦٠ – ٥٥٥هـ. تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار حسان- دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

القلقشندي، أحمد بن علي(٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخدوية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي(٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د. ت.

ابن المأمون، جمال الملك موسى بن المأمون (٥٨٨هـ/١١٩٢م):

السيرة المأمونية، أو أخبار مصر (٥٠١ ــ ٥١٩هـ)، أعاد بنائها: أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ٢٠١٤م.

المقدسي، المطهر بن طاهر(٣٥٥هـ/٩٦٦م):

البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د . ت.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن على(ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م):

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تحقيق: محمد حلمى محمد أحمد، ط١، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م.

البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب. تحقيق: عبد النعيم حنفي عثمان، القاهرة، ٢٠٠٦م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م .

المقفى الكبير. تحقيق: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

ابن مماتي، أسعد بن المهذب (٦٠٦هـ/١٢٠٩م):

قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، مكتبة مدبولي، مصر، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري(٧١١هـ/١٣١١م)::

لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د. ت.

ابن ميسر: محمد بن علي بن يوسف(٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م):

المنتقى من أخبار مصر. انتقاه تقي الدين المقريزي، أعده للنشر: أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.

النويري: أحمد بن عبد الوهاب(٧٣٣هـ/١٣٣٣م):

نهاية الأرب في فنون الأدب، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(٦٩٧هـ/١٢٩٧م):

التاريخ الصالحي، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم السلام والخلفاء والملوك وغيرهم، يؤرخ كم بدء الخلق حتى سنة ٦٣٦هـ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٧م.

اليافعي اليمني، عبد الله بن أسعد بن علي(ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م):

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ياقوت الحموي، أبو عبد الله(ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):

معجم الأدباء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د. ت.

رابعًا: المراجع العربية

حسان حلاق، عباس صباغ:

المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م

حسن إبراهيم حسن:

تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٥٨م.

حسن الباشا:

الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

شاكر مصطفى:

التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م.

صائب عبد الحميد:

علم التاريخ ومناهج المؤرخين في علم التاريخ نشأة وتدويناً ونقدًا وفلسفة ومناهج كبار مؤرخي الإسلام، ط١، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٢١هـ/٢٠٠١م.

عبد العزيز شرف:

أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٢.

عبد المجيد البغدادي:

فن السيرة وأنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، العدد ٢٣، ٢٠١٦م.

فاروق عمر فوزي:

التدوين التاريخي عند المسلمين، مقدمة في دراسة نشأة علم التاريخ وتطوره حتى بداية القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

محمد جمال الدين سرور:

مصر في عصر الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

محمد حمدي المناوي:

الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠م.

محمد رمزي:

القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، القسم الثاني، مديريات الجيزة وبني سويف والفيوم والمنيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م

خامسًا: المراجع المترجمة:

جان سوفاجيه/ كلودكاين:

مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، دليل ببليوغرافي، ترجمة: عبد الستار الحلوجي، عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨م.

سادسًا: المجلات العلمية المحكمة:

علي صدام نصر الله:

إنهاء الخليفة الآمر بأحكام الله تسلط الوزراء في عهده (٤٩٥ – ٥٢٤هـ / ١١٠١ – ١١٢٩)، وانفراده بحكم الدولة الفاطمية، مجلة الدراسات التاريخية، كلية التربية بنات، جامعة البصرة، العدد ٢١، ٢٠١٦م.

علي فيصل عبد النبي:

الوزير المأمون البطائحي، سيرته ودوره في الخلافة الفاطمية (٥١٥ – ٥١٩هـ/ ١١٢١ – ١١٢٥م)، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد ٦، ٢٠١٧م.